الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٠ – ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٤ – السنة الثانية

2 me Année, No.70.

Lundi-5-11-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

تليفون رقم { ٤٢٣٩٠ ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـــدد ٧٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٥٣ — ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

يا هادىَ الطريق جُرت ! !

ذلك هُتاف الأمة الحَيْرَى ، يتجلجل فى صدرها المكظوم كلما بهرتها الشدائد ، وأجهدتها المفاوز ، وفدحتها الضحايا ، ووقف بها اللغوب ، ودارت ببصرها فى معامى الفضاء فلا تتبين نَسَماً لطريق ، ولا تتعرف وجهاً لغاية

يا هادىَ الطريق جُرْت ! !

ذلك صراخ القافلة المكروبة ، تَخْبط منذ طويل فى مجاهل الأرض ، وخوادع السُّبُل ، وأدلاّؤها الغواة يلتهمون زادها مع الوحش ، ويقتسمون مالها مع المغير ، ويغتنمون ضلالها مع الحوادث ، حتى قطعوها عن رَكب الانسانية ، وتركوها فى مطاوى التيه تنفق جهدها على غير طائل ، وتَنْشد قصدها من غير أمل

يا هادىَ الطريق جُرْت ! !

ومن يستطيع اليوم أن يُعَرِّف هذا الهادى بالنداء ، أو يخصصه بالوصف ، أو يأخذه بالتبعة ؟ لقد تعدد الهداة فى هذه القافلة ! واختلفت الشياطين بين هؤلاء الهداة ، فتنازعوا الزعامة ، وتجاذبوا

الأزمَّة . فأخرجنا هذا من مذهب الى مذهب ، وصرفنا ذلك من مطلب الى مطلب ، حتى إذا انكشفت عن عيوننا أغطية الغفلة ، وجدنا أنفسنا بعد الجهد الجاهد ، ندور حول الموقف الذى كنا فيه ، أو نرجع الى الموضع الذى فصلنا عنه !

على هذه القيادة المتضاربة الأفينة رجعنا القهقرى زهاء ثمانين سنة : رجعنا الى العهد الذى كنا نهدهد الدستور فيه على هوى السلطان المطلق ، وندرب القانون على مصارعة العرف الغالب ، ونعلم الشعب الأجير معنى الأمة المالكة ! وليتنا عدنا إلى ذلك العهد بأخلاقه ورسوله ! فقد كنا على قلتنا أعزة ، وعلى فاقتنا أعفة ، وعلى جهالتنا أعلم بالخير وأفهم لمعنى المجتمع . كنا نتواصى على الصبر ، ونتعاون على البر ، ونتهادى صنائع المعروف ، ونحفظ وحدة الأسرة بالحب ، وسلطان الدولة بالطاعة ، وحقوق الله بالورع ، فما كان منا من يخون الأمانة ، ويسرق الأمة ، ويتكئ على النقيصة ، ويتحمل على الخبث ، ويتجر بالدين ، ويتخذ عدو وطنه وليا ، ويعتقد خطة غاصبه شريعة !

ولكننا وا أسفاه ، بعد هبة مصطفى ، ونهضة سعد ، وجهاد خمسة عشر عاماً ، تمكن فيها السلطان ، واستبحر العمران ، وازدهر العلم ، وتولد النبوغ ، وتوحد الشعب ، وتكوّن الرأى ، نصاب بهذه النكسة الشديدة ، فنعود ناقضين ما أبرم خاسرين ما غنم !!

* * *

اللهم إن النيل لا يزال يفيض ، وإن الوادى لا يزال يُنبت ، وإن الشمس التى أنضجت أذهان الفراعين لا تزال تشع ، وإن الأيدى التى غرست أولى الحضارات على العُدْوتين لا تزال تعمل ، فما بالنا اليوم يتقدم الناس ونتأخر ، وتتحرر الشعوب الضعيفة ونحن لا نتحرر ؟

دع عنك ما يقال من كَلَب الإحتلال ، وفقد الاستقلال ، وتجنّى الدول ، فإن ذلك كله عَرَض من أعراض العلة الدخيلة الوبيلة وهى انحلال الخلق . وانحلال الخلق فى دهرنا الحديث داء جرثومته أننا عنينا بالتعليم قبل التربية ، وبتعليم الابن قبل تعليم البنت . فكان لنا من ذلك الوضع المقلوب رجال يجرون فى عنان مع علماء الغرب ، بل ربما طالوهم فى حذق اللغات وتلون المعرفة ؛ ولكن كثيراً منهم يخلون من أخلاق الرجولة خلو البيت من الأم الصالحة ، والمدرسة من المربى القادر ، فتخونهم الكفاية عند التطبيق ، وتخذلهم الشجاعة عند العمل ، ويفارقهم الضمير عند الواجب ، فلا يبقى إلاّ الغرائز الحيوانية التى تثب على أموال الناس ، وتعتدى على حقوق الشعب ، وتستخدم السلطان العام فى مساعدة الصديق ومكايدة العدو ومناوأة الخصيم ! . .

وليت غريزة الحياة بقيت فينا على حال الفطرة ! إذن لعلمنا ما تعلم النمل من قِوام العمل ، وفهمنا ما تفهم النحل من نظام الجماعة ، وسرنا على نور الله لا نَعْمَهُ فى ظلام ، ولا نندر فى غواية

* * *

إن بعض الأمم الاسلامية أقل منا عدداً ، وأرق ثروة ، وأضيق ثقافة ، وأحدث مدنية ما فى ذلك شك ، ولكن غرائزها الأصيلة لم يرنقها ذل الرق السياسى ، وخلائقها النبيلة لم يفسدها زور المدنية الوافدة ، فتمردت على الضيم ، وتعنتت على الأحداث ، وقلّمت الأظفار الناشبة فى استقلالها ، وقطعت الأيدى الطامعة فى استغلالها ، ومشى أبناؤها الأباة على هَدْىِ ماضيهم المشرق لا يستكينون لمشورة حليفة ، ولا يستنيمون لمعونة أجنبى ، ولا يستجيبون لوساوس الأطماع فى مرافق الأمة ومناصب الدولة ، حتى انخزلت عنهم التهم ، وغفلت عنهم الفتن ، واستوثق لهم الأمر أو كاد

ذلك يا قوم ما يهدى له منطق الطبع ، وصوت التاريخ ، وعبقرية الجنس ، أما هذا الذى نحن عليه فلا يمكن أن يؤدى إلاّ إلى الذى نحن فيه . . فتداركوا إفلاس المدرسة ، وفشل السياسة ، وفوضى الحكم ، بإيقاظ الضمائر الغافلة ، واستخدام الكفايات العاطلة ، واستلهام هذا الشعب المجيد الذى عودته عناية الله أن يُعوّق ولا يضل ، ويُعذّب ولا يذل ، ويحارَب ولا يستكين

احمد حسن الزيات

لجنة التأليف والترجمة والنشر

نبـــذة تاريخيــــة

للأستاذ احمد أمين

رئيس اللجنـــة

فى سنة ١٩١٣ كان فى مدرسة المعلمين العليا بدرب الجماميز طائفة من الشـــباب تمتلئ نفوسهم غيرة على العالم الأسلامى ، ويطيلون التفكير فى وسائل إصلاحه والنهوض به ، ألّف بين أفرادها الشعور بالألم من موقف الشرق وخموله ، والايمان بوجوب العمل على تنبيهه والأخذ بيده ورفع مستواه ؛ وقد نبتت هذه الفكرة عندهم على أثر حرب البلقان ، ومطالعتهم فى كتب تثير هذه المعانى فى النفوس ، أمثال كتاب « طبائع الاستبداد » و « أم القرى » للكواكبى

فكانوا يجتمعون اجتماعات متعددة للبحث فى وضع خطط لما ينوون القيام به من أعمال ، يجتمعون أحياناً فى مدرسة ، وأحياناً فى منزل ، وأحياناً فى مسجد الجزيرة عقب تروّضهم ، وأحياناً يسافرون الى بلد أحدهم فى الأجازة ، وأحياناً يفرون من العمران ويجتمعون فى الصحراء

وكانوا يتبادلون الرأى فى مختلف الوسائل ، وينحون فى ذلك مناحى مختلفة ، فمنهم من كان يميل الى تركيز كل الجهود فى الأصلاح الدينى ويرى أنه هو الوسيلة الوحيدة لرقىّ العالم الاسلامى ، ومنهم من كانت تغلب عليه النزعة الى الاصلاح الاجتماعى بأوسع معانيـه — وكانت الآراء فى ذلك تتشعب ، وتذهب المناقشات بينهم كل مذهب

وهناك فى « زاوية البقـلى » فى أحد اجتماعاتهم اعتزموا تـكوين لجان منهم للقيام بأعمال مختلفة ، إحداها « للتأليف والترجمة والنشر » ، وهذا هو السبب فى تسميتها « لجنة » لا جمعية ولا غيرها

وفى هذه الأثناء اتصلوا ببعض إخوانهم فى مدرسة الحقوق فساهموهم هـذه الأفكار وتطوعوا للعمل لها وبذل الجهد فى تنفيذها ؛ وكان من أظهر أفراد هذه الجماعة ، وأول الداعين إلى هذه الأفـكار ، وأشدهم حماسة ونشاطاً ، الطلبة : محمد احمد الغمراوى ، وأحمد عبد السلام الكردانى ، ومحمد عبد الواحد خلاف ، وأحمد زكى ، وحسن مختار رسمى ، ويوسف أحمد الجندى ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومحمد عبد البارى

فلما تخرج أكثر هؤلاء من مدرستى المعلمين والحقوق سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٥ عقدوا النية على أن يتموا رجالاً ما بدأوا به طلبة ، واتصل بهم إذ ذاك بعض إخوانهم ممن يميلون ميلهم ويشعرون شعورهم ، ومن هؤلاء : محمد كامل سليم ، وأمين مرسى قنديل ، وعبد الحميد العبادى ، ومحمد بدران ، وعبد الحميد فهمى ، ومحمد صبرى أبو علم ، وأحمد أمين

ليس المقام الآن مقام ما فـكروا فيه من مشروعات أخرى ، وما عملوا فيها ، وما آلت اليه ، إنما المقام الآن للجنة التأليف ؛ فقد أكثر هؤلاء الأعضاء من ذكر التأليف والترجمة والنشر ، وأملوا أن تقوم جماعتهم بهذا العمل ، وأن يتسع نطاقها ، فيكون لهم مكتبة ومطبعة ، ومدرسة نموذجية ، ومجلة ، وأن تـكون لهم كتب فى مختلف العـلوم والفنون تناسب جمهور المتعلمين فى جميع مراحل التعليم

وكان أول ما عملوا أن عهدوا إلى الأستاذين أحمد زكى وأحمد عبد السلام الـكردانى تأليف كتاب فى الـكيمياء للمدارس الثانوية ، والى الأسـتاذ محمد احمد الغمراوى تأليف كتاب فى الطبيعة ، والى الأستاذين محمد خلاف وعبد الحميد فهمى تأليف كتاب فى الحساب ، وإلى الأستاذين محمد كامل سليم ومحمد بدران تأليف كتاب فى الجغرافيا . وقد نفذت كل المشروعات ماعدا الثانى منها

أملوا هذه الآمال ، وكوّنوا هذه اللجان ، ووضعوا مشروع هذه الأعمال ، وليس لديهم مال يستعينون به على أغراضهم ، ولـكن كان لهم أمل قوى ، وعزيمة ثابتة ، وإخلاص نقى ، وحسبهم من هذا غنى

فى هذا الحين بدأت اللجنة فى عمل قانون لها وعهدت الى الأستاذ حسن مختار رسمى بوضعه

واجتمع الأعضاء سنة ١٩١٥ بالمدرسة الأعدادية بالعباسـية لأن كثيراً من أعضاء اللجنة كانوا مدرسين بها ، فقرأوا القانون وأدخلوا عليه بعض تعديلات وانتخبوا أعضاء مجلس الادارة ، وبدأ الأعضاء يدفع كل منهم عشرة قروش فى الشهر ، ثم جعلت مالية اللجنة أسهماً كل منهم ثمنه جنيه ، وهذا بدء التكوين المالى

للجنة — ولم يكن يزيد عدد الأعضاء إذ ذاك على خمسة عشر عضواً

بدأت اللجنة عملها بأن وضع الأستاذان احمد زكى واحمد السكرداني كتابهما فى الكيمياء فى جزأين فعهد فى قراءته ونقده للأستاذين محمد خلاف ومحمد الغمراوى ، وكان من أجمل المناظر اجتماعهم وعملهم ؛ فقد استأجروا شقة خاصة فى منزل أحدهم أعدها لهم أولهم ، وظلوا يجتمعون ليل نهار يقرأون وينقدون ويراجعون الى أن يدركهم الملل فيناموا وقد بلغ منهم الجهد ، حتى اذا أتموه بعد عناء قدموه للطبع ، ولم يكن فى اللجنة ما يكفى للانفاق عليه ، فاقترضت اللجنة من بعض الأعضاء ما يكفى لذلك

لم يكن فى مال اللجنة ما يكفى أيضاً لاستئجار مكان خاص ، فكان مجلس الادارة يجتمع فى بيت أحد الأعضاء ، وأكثر ما كان ذلك فى بيت عبد الحميد افندى العبادى بالحلمية ، أو بيت محمد افندى خلاف كذلك — وأحياناً يجتمعون فى مقهى قلّ زوّاره — ولما أنشئت نقابة المعلمين استأذنتها اللجنة فى أن تجتمع فيها فأذنت ، وكانت الجمعية العمومية لها تنعقد فى إحدى المدارس الأهلية كالاعدادية ، ووادى النيل

كذلك لم تكن تستطيع أن تستأجر مكاناً تخزن فيه كتبها ، فكان كل مؤلف يخزن كتابه فى بيته ، ويبيع منه ماطلب ، ويعمل حسابه بنفسه ويقدمه للجنة

ثم اتفقت اللجنة مع مكتبة أن تودع فيها كل كتبها فى نظير خصم أكبر على ما يباع — وكان أحد الأعضاء يتولى حساب اللجنة على طريقة ساذجة بسيطة . وقد كانت هذه الأعمال كلها مما يعرض اللجنة للضياع والانحلال لولا ما ملئ به أعضاؤها من صدق وإخلاص وثقة

أخذت اللجنة بعد ذلك تنمو تدريجاً فزاد أعضاؤها حتى بلغوا الآن بضعاً وسبعين ، وزاد إنتاجها ، واتسع عملها ، وكثر مالها ، فاتخذت لها مركزاً ، وكان أول مافعلت ذلك أنها استأجرت مكاناً فى شارع الأمير يوسف بالحلمية القديمة بثلاثة جنيهات شهرياً اتخذته مخزناً ومكاناً للادارة ، ثم انتقلت منه الى مكان فى شارع غيط العدة ، ثم الى مكان فى شارع المبدولى ، ثم فى شارع الساحة ، ثم فى مكانها الحالى . ونظمت دفاترها واستخدم لها العمال ليقوموا بحسابها على الطراز الحديث

ومما يلاحظ أنها بدأت أول أمرها بالكتب المدرسية لرواجها ، ولتكون دعامة مالية لها ، ثم توسعت بعد ذلك فلم تبال ما تطبع متى وثقت به من الناحية العلمية ، ولو كان الكتاب كتاب الخاصة كما فعلت فى ترجمة كتاب الأخلاق لأرسطو والبصريات

كما يلاحظ أن أكثر أعضائها وأوفرهم إنتاجاً كان من المعلمين ، لأن طبيعة عملهم جعلتهم أكثر اتصالاً بالكتب وميلاً الى تأليفها أو ترجمتها

وقد ساعد اللجنة على رواج كتبها الثقة التى منحها الجمهور إياها مقابل ما تبذله من جدّ فى التدقيق فيما تنشر ، فليست تخرج كتاباً إلا بعد أن يمر على لجنة مختصة تنظر فيه بإمعان ، وتقدم تقريراً عنه بصلاحيته ، أو تقترح إدخال إصلاح عليه غير مبالية كثيراً برواج الكتاب أو عدم رواجه متى وثقت أن الكتاب يخدم العلم ويحقق غرضها ، ويفيد ولو الخاصة

ومنذ أربعة أعوام سعت اللجنة لدى وزارة المعارف أن تمنحها مبلغاً من المال للأستعانة به على تأليف الكتب القيمة وترجمتها ونشرها . إذ كان هذا العمل من أهم الأعمال التى يصح أن تقوم بها وزارة المعارف

وكان لبعض أعضاء اللجنة السعى المشكور فى أن مجلس النواب طلب من وزارة المعارف أن تمنح اللجنة مقداراً من المال لهذا الغرض . كما كان لبعضهم سعى مشكور آخر فى إجابة وزارة المعارف له

وألفت وزارة المعارف لجنة من الأستاذ سكرتير عام الوزارة ، والأستاذ مصطفى عبدالرازق ، ورئيس اللجنة ، للنظر فى المال الذى تقرره الوزارة ، وكيفية صرفه ، والكتب التى ينفق عليها هذا المبلغ

وقد منحت الوزارة اللجنة ألف جنيه فى ثلاثة أعوام متوالية أنفقت منها على طبع كتاب فتح العرب لمصر ، والنجوم فى مسالكها ، والجزء الأول من السلوك للمقريزى ، ولا تزال مستمرة فى إخراج الكتب القيمة كلما تجمع لها شىء من المال

فلوزارة المعارف الشكر على هذه الثقة كما للأعضاء الذين سعوا هذا السعى الشكر على ما سعوا

* * *

وأخيراً وبعد عشرين سنة من حياتها يحق للجنة أن تقف

[البقية على صفحة ١٨٤٠]

قصة زواج

ذيل القصة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ذهب الناسُ يميناً وشمالاً فيما كتبناه من خبر الإمام سعيد ابن المسيَّب وتزويجِه ابنتَه من طالب علم فقير بعد إذ ضنَّ بها أن تكون زوجاً لوليِّ عهد أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؛ وقد جعلت قلوبُ بعض النساء العصريَّات المتعلمات تصيح وتُولْـوِل . . . وحدَّثنا أديب ظريف أن إحداهن سألت عن عنوان عبد الملك بن مروان . . .

أفتُراها ستكتب اليه أنها تقبل الزواج من ولي عهده ؟

على أن للقصة ذيلاً ، فان الطبيعةَ الآدميةَ لاعصرَ لها ، بل هي طبيعةُ كل عصر . والفضيلةُ الإنسانيةُ يبدأُ تاريخُها من الجنة ، فهي هي لا تتجـدَّد ولا تَزالُ تلوحُ وتختفي ؛ أما الرذيلةُ فأولُ تاريخها من الطبيعـة نفسِها ، فهي هي لا تتغيَّر ولا تَزالُ تظهر وتَسْتَتِر

***

لما زوَّج الإمامُ ابنتَه من أبي وَدَاعة وأخذها بنفسه اليه في يوم زوَّجها منه ، ومشى بها في طريق حَصَاهُ عنده أفضلُ من الدُّرّ ، وتُرابُه أكرمُ من الذهب ؛ طارت الحادثةُ في الناس واستَفاضَ لهم قولٌ كثير . « فأما الذين آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يَسْتَبْشِرونَ . » وقد قال جماعةٌ منهم : تاللهِ لئن انقطع الوحْيُ فان في معانيه بقيَّةً ما تَزال تنزل على بعض القلوب التي تُشبه في عَظَمتها قلوبَ الأنبياء ؛ وما هذه الحادثةُ على الدنيا إلا في معنى سُورة من السُّوَر قد انشقَّت لها السماءُ ونَزل بها جبريلُ يُخفْـفِقُ على أفئدة المؤمنين خفقةَ إيمان .

« وأما الذين في قلوبهم مَرَضٌ فزادتهـم رِجْساً الى رِجْسِهم . » وقال أناسٌ منهم : أمَا واللهِ لو تَهيَّأَ لأحدنا أن يكون لصاً يسرق أميرَ المؤمنين أو ابنَ أميرِ المؤمنين لركب رأسَهُ في ذلك ، ما يَرُدُّه عن السرقة شيء ؛ فكيف بمن تهيَّأَ له الصِّهْرُ وَالْحَسَب ، وجاءه الغِنَى يَطْرُقُ بَابَه — ما بالُه يردُّ كل ذلك وَيُخزِي ابنتَه برجل فقير تعيشُ في داره بأسوإ حال ؛ وكيف تَثْقُلُ همتُه وَتَبْطُؤُ وتموتُ إذا كان الدرُّ والجوهرُ والذهبُ والخلافة ؛ ثم ينبعث ويمضى لا يتلكَّأ عزمُه إذا كان العلم والفقر والدين والتقوى

وانتهى كلام الناس الى الإمام العظيم فلم يَحفِلْهُ إلا من الظن خَفياً خفياً ، كأنما هي أقوالٌ حَسِبَها تقال عنه بعد خمسين وثلثمائة وألفِ سنة ، في زمننا هذا ، حين يكون هو في معاني السماء ، ويكون القائلون في معاني التراب النَّجِس الذي نفضَتْه على الشرق نعالُ الأوربيين . . . !

قال الراوي : ولم يستطع أحد من الناس أن يواجه الإمامَ بشَفَةٍ أو بنتِ شفة ، لا مُضيِّقاً عليه من قلبِه ولا مُوسِّعاً ، حتى كان يومٌ من أيام الجمعة ، وقد مال الناس بعـد الصلاة الى حلْقة الشيخ وَتقَصَّفُوا بعضُهم على بعض فغَصَّ بهم المسجد ، وكان إمامُنا يفسِّر قوله تعالى : « وما لنا ألا نَتوَكَّلَ على اللهِ وقدهدانا سُبُلَنا ، وَلنَصْبِرَنَّ على ما آذَيْتُمونا . وعلى الله فَليَتوَكَّلِ المتوَكِّلون . »

قال الراوي : فكان فيما قاله الشيخ :

إذا هُدِيَ المرءُ سبيلَه كانت السُّبُلُ الأخرى في الحياة إما عداءً له ، وإما معارَضَةً ، وإما رَدّاً ؛ فهو منها في الأذى ، أو في معنى الأذى ، أو عُرْضَةٌ للأذى . لقد وَجَد الطريق ولـكنه أصاب العقباتِ أيضاً ، وهذه حالة لا يَمضي فيها المُوَفَّق إلى غايته إلا إذا أعانه الله بطبيعتين : أُولاهما العزمُ الثابت ، وهذا هو التوكُّل على الله ؛ والأخرى اليقينُ المستبصِر ، وهذا هو الصبر على الأذى

ومتى عزم الانسانُ ذلك العزم ، وأيقن ذلك اليقين — تحوَّلت العقباتُ التي تصدُّه عن غايته فآل معناها أن تكون زيادةً في عزمه ويقينه ، بعد أن وُضِعْنَ ليَكُنَّ نقصاً منهما ؛ فترجع العقباتُ بعد ذلك وإنها لوسائل تُعين على الغاية . وبهذا يبسطُ المؤمن رُوحه على الطريق ، فما بُدٌّ أن يَغلب على الطريق وما فيها . وينظر الى الدنيا بنور الله فلا يجد الدنيا شيئاً على سَعتِها وتناقضها

إلا سبيلَه وما حَوْلَ سبيله ، فهو ماضٍ قُدُماً لا يَتراد ولا يَفْتُر ولا يَكِلّ ، وهذه حقيقة العزم وحقيقة الصبر جميعاً

ومن ثمّ لا تكون الحياة لهذا المؤمن مهما تقلّبت واختلفت — إلا نَفاذاً من طريق واحدة دون التّخبّط فى الطرق الأخرى ، ثم لا يكون العمرُ مهما طال إلا مدةَ صبرٍ فى رأى المؤمن . وعزيمةُ النفاذ وعزيمةُ الصبر هما الضوء الروحانى القوىّ الذى يكتسح ظلمات النفس مما يسميه الناس خمولاً ودَعَةً وتهاوناً وغفلة وضجراً ونحوها

قال : ولكن كيف يُعان المؤمنُ على هذه المعجزة النفسية ؟ هنا يتبين إعجازُ الآية الكريمة ؛ فقد ذُكر فيها التوكُّلُ ثلاث مرات ، وافتتحت به وختمت ، والتوكل هو العزم الثابت كما أوضحنا . وذُكرتْ فى الآية بين ذلك هدايةُ المرء سبيلَه ؛ وهذه الاضافة (سُبلنا) تُعيّنُ أنها هدايةُ الانسان الى سبيلِ نفسه ؛ أىْ سبيله الباطنىّ الذى هو مَناط سعادته فى الشعور بالسعادة[1]

ثم ذُكر الصبرُ على أذى الناس ، والأذى لا يقع إلا فى حيوانيةِ الانسان ، ولا يؤثّر إلا فيها . فكأن الآية مُصرِّحةٌ أن نجاح المؤمن ونَفاذَه فى الحياة لا يكونان أولَ الأشياء وآخرَها إلا بثلاث : العزم الثابت ، ثم العزم الثابت ، ثم العزم الثابت . وأن الصبر ليس شيئاً يُذكر ، أو شيئاً يُجدى ، إن لم يكن صبراً على أذى الحيوانية فى أفظع وحشيتها ؛ فالروحُ لا تؤذى الروح ، ولكن الحيوان يؤذى الحيوان . وأن ما يقع من هذه الحيوانية فيسمى اعتداءً من غيرك ، ويسمى أذًى لك ، هو شىء ينبغى أن يجعله العزم نخراً لقوّة الاحتمال فيك ، كما جعله البطش نخراً للقدرة عند المعتدى

وبهذا يكون العزم قد فَصلَ بين نفسك الروحية وبين شخصك الحيوانىّ ، ووَهبكَ حقيقةَ الشعور ، وصَحّحَ بمعانى روحيتك معانى حيوانيتك ؛ وحينئذ ترى السعادةَ حقّ السعادة ما كان هدايةً لنفسك أو هدايةً بها ، ولو انقلب فى الشخصِ الحيوانىّ منك أذًى وألماً . ذلك صبرُ أُولى العزم من الرُّسل

***

قال الراوى : وعنـد ذلك صاح رجل كان فى المجلس دسّهُ عاملُ الخليفة ، ليسألَ الشيخَ سؤالاً على مَلأِ الناس ، يكون كالتشنيع عليه والتشهير به ؛ وقد مَكَرَ العاملُ فاختاره شيخاً كبيراً أعقَف ، ليرحم الناسُ رقّةَ عظمه وكبرَ سنّه فلا يعرضون له بأذى ، ثم ليكون صوتهُ كأنه صوتُ الدهر من بعيد . قال الصائح : ذلك أيها الشيخ صبرأولى العزم من الرسل ، أو صبر ابنتك على مَكارِه العيش مع أبى وداعة ، لا يجد إلا رُمقةً يُمسك بها الرَّمَق عليها وقد كانت النعمة لها معرضة ، فدفعتها اليه زعمتَ — لتُهلكَ به شخصَها الحيوانىّ ، وتوكلت على الله وألقيتَ ابنتك فى اليمّ ... ؟

فتربّدَ وجهُ الشيخ وأطرقَ هُنَيّات ، ثم رفع رأسه وقال : أين المتكلمَ آنفاً ؟ فارتفع الصوت : هأنذا . قال : ادْنُ مِنّى . فتقاعسَ الرجل كأنما تهيّب ما فَرَط منه . فاستدناه الثانية ؛ فقام يتخطّى الناس حتى وقف بازائه ثم جلس ؛ فقرأ الشيخ قوله تعالى : « وبرزوا لله جميعاً ، فقال الضعفاء للذين استكبروا : إنا كُنّا لكم تَبعاً ، فهل أنتم مُغنُونَ عَنّا من عذابِ الله من شىء ؟ قالوا : لو هدانا اللهُ لَهديْناكم ، سواءٌ علينا أجزِعْنا أم صبرْنا مالنا من محيص »

ثم قال : أيها الرجل ، لا تسمعْني بأذُنك وحدها . أرأيتك لو سمعتَ خبراً ليس فى نفسك أصلٌ من معناه ، أو وَرَدَ عليك الخبرُ ونفسُكَ عنه فى شُغُل قد أهمّها ، أفكنت تَنْشطُ له نشاطَك للخبر احتفلتْ له نفسُك أو أصاب هوًى منك أو رأيته موضع اعتبار ؟

قال : لا

قال الشيخ : فاذا سمعتَ بأذنك وحدها فانما سمعتَ كلاماً عبرَ بأذنك مراً ، وإذا أردت الكلامَ لنفسك سمعتَ بأذنك ونفْسِك معاً ؟

قال : نعم

قال الشيخ : فكلُّ ما لا تنفرد به حاسةٌ واحدة ، بل تشارك فيه الحواسُ كلها أو أكثرها — لا يكون إلا موضع اهتمام للنفس ؟

قال : نعم

قال الشيخ : فمن هنا يكثر الفرح والحزن كلاهما إذا شاركتْ فيهما الحواس ، فيأتى كل منهما كثيراً مهما قلّ ، وتزيد كلُّ حاسّة فى اللذة لذةً وفى الألم ألماً ، فتعمل النفس فى ذلك أعمالاً

(١) سيأتى فى كلام الامام بسط لهذا المعنى

تَسْحَرُبها ، فيكون الشيء لصاحبه غيرَ ماهو للناس ، كالصوت الباكى أو الضاحك فى لسان طفلك ، تسمعه أنت منه بكلِّ حواسك فاذا أنت سمعت الصوتَ عينه من لسان رجل فى الناس رأيته غير ذاك . أكذلك هو ؟

قال : نعم

قال الشيخ : فيكون السرورُ بالغاً عجيباً أكثرَ ماهو بالغ ، حين يجدُ المالَ والغِنى فى الأنسان ، أم حين يجد القوةَ النفسيةَ وطبيعةَ المرَح والرضى ؟

قال : بل حين يَجِدُ فى النفس

قال الشيخ : أرأيت الأنسان يكون سعيداً بما يتوهّم الناسُ أنه به غنيٌّ سعيد ، أم بشعوره هو وإن كان بَعدُ فيما لا يتوهم الناسُ فيه الغِنى والسعادة ؟

قال : بل بشعوره

قال الشيخ : أفلا توجدُ فى الدنيا أشياءُ من النفس تكون فوق الدنيا وفوق الشهوات والمطامع ؛ كالطفل عند أمه ، كل ما تعلق به من شيء وُزِنَ به هو لا بغيره ، وكان الاعتبارُ عليه لا على سواه ، أتعرف أمّاً ترضى أن يُذْبَح ابنُها فى حجرها لِقاء أن يُملأ حجرُها ذهباً ؟

قال : لا

قال الشيخ : فاذا كانت النفس تشعرُ أكثر مما ترى ، أفيذهب ما تراه فيما تشعر به ، ويكون شعورها هو وحده الذى يَلْبَسُ ما حولها ويصوِّره ويصرِّفه ؟

قال : نعم

قال الشيخ : أفتعرف أن لكل نفسٍ قويةٍ من هذا العالم الذى نعيش فيه عالَماً آخر هو عالم أفكارها وإحساسِها ، وفيه وحده لذاتُ إحساسِها وأفكارِها ؟

قال : نعم

قال الشيخ : أفرأيتَ المرأةَ إذا صحّ حبُّها أو فرحُها أو عزمُها ، أرأيتها تكون إلا فى عالَم أفكارِها ، أرأيتَ كلَّ ما يتصل برغبتِها حينئذ يكون إلا من أشياءِ قلبها لا من أشياءِ الدنيا ؛ أرأيتها لا تعيش فى هذه الحالة إلا بالمعاملة مع قلبِها الذى لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس ولا يجمع المال ولا يريد إلا الشعور فقط ؟

قال : نعم هو ذاك

قال الشيخ : أرأيت إذا كانت الأيمان قد وُلِدَ ونشأ وترَعرَعَ فى قلب المرأة ، ألا يكون هو طفلَ قلبِها ؟

قال : نعم

قال الشيخ : أرأيت إذا كانت الخمر عند مُدمِنها شيئاً عظيماً ، وكانت ضرورةً من ضرورات وجودِه الضعيفِ المختلّ ، فلا يستقيم وجودُه ولا سَفَهُ وجودِه إلاّ بها ، أفيلزمُ من ذلك أن تكون الخمر من ضرورات صاحبِ الوجود القويّ المنتظم ؟

قال : لا

قال الشيخ : أفمُوقِنٌ أنت أن لابدّ من آخِر لأيام الأنسان ولياليه فى هذه الدنيا فينقطع به العيش ؟

قال : نعم

قال الشيخ : أفيُؤَرَّخُ الانسان يومئذ بتاريخ مَعِدَتِه وما حولها ، أم بتاريخ نفسه وما فيها ؟

قال : بل بتاريخ نفسه

قال الشيخ : فاذا كنتَ صاحبَ حَرْبٍ ، وكنتَ بطلاً من الأبطال ومِسْعَراً من المَساعير ، وأيقنتَ الموتَ فى المعركة ، أيكونُ الحقيقيُّ عندك فى هذه الساعة هو الموتَ أم الحياة ؟

قال : بل الحياةُ عندئذ وَهْمٌ وباطل

قال الشيخ : فتَفِرُّ فى تلك الساعة الى الحياة ولذّاتها فى خيالك ، أم تفرّ منها ومن لذاتها ؟

قال : بل الفرارُ منها ، فان خيالها يكون خَبالاً

قال الشيخ : ففى تلك الساعة التى هى عُمْرُ نفسِك وعَمَلُ نفسك ورجاءُ نفسِك ، تستشعر اللذةَ فى موتك بطلاً مذكوراً ، أم تُحس الكربَ والمَقْتَ من ذلك ؟

قال : بل أستشعر اللذة

قال الشيخ : إذن فهى كبرياءُ الروح العظيمة على مادة التراب والطين فى أيّ أشكالها ولو فى الذهب

قال : هى تلك ؟

قال الشيخ : إذن فبعضُ أشياء النفس تمحو فى بعض الأحوال كلّ أشياء الدنيا ، أو الأشياءَ الكثيرةَ من الدنيا

قال : نعم

قال الامام : يرحمك الله . كذلك مُحِيَ عندنا أميرُ المؤمنين

وابنُ أمير المؤمنين ، ومُحيِي المالُ والغنى ، ولم يكن ذلك عندنا إلا سعادة . ومن رحمة الله أن كلَّ مَن هُدِيَ سبيلَه بالدين أو الحكمة استطاع أن يصنع بنفسه لنفسه سعادتها فى الدنيا ، ولو لم يكن له إلا لُقيمات ؛ فان السَّعَةَ سَعَةُ الخُلُق لا المال ، والفقرَ فقر الخُلق لا العيش

***

قال الراوى : ثم إن الامام العظيم التفت الى الناس وقال : أما إنى — عَلِمَ الله — مازوَّجت ابنتى رجلاً أعرفه فقيراً أو غنياً ، بل رجلاً أعرفه بطلاً من أبطال الحياة ، يملك أقوى أسلحته من الدين والفضيلة . وقد أيقنتُ حين زوَّجتُها منه أنها ستعرف بفضيلة نفسها فضيلة نفسه ، فيتجانسُ الطبعُ والطبع ؛ ولا مَهْنَأَ لرجل وامرأة إلا أن يُجانِسَ طبعُه طبعَها ، وقد علمتُ وعلم الناس أن ليس فى مال الدنيا مايشترى هذه المجانسة ، وأنها لا تكون إلا هدية قلبٍ لقلب يأتلفان ويتحابّان

ثم قال الامام : وأنا فقد دخلتُ على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] ، ورأيتهُنَّ فى دورهنَّ يُقاسِين الحياةَ ، ويعانِين من الرزق ماشحَّ دَرُّه فلا يجيء إلا كالقطرة بعد القطرة ، وهنَّ على ذلك ، ماواحدةٌ منهنَّ إلا هى مَلِكَةٌ من ملِكات الآدميّة كلّها ، وماَفقرُهنَّ واللهِ إلا كبرياء الجنة ، نظرت الى الأرض فقالت : لا . . . !

يجاهدْنَ مجاهَدةَ كل شريفٍ عظيم النفس ، همُّه أن يكون الشرفُ أو لا يكونَ شيء ؛ ويرى الغافلُ أن مِثلهن فى تعب الجهاد ، ويعلَمْنَ من أنفسهن غيرَ مايرى ذلك المسكين — يَعلَمْن أن ذلك التعب هو لذة النصر بعينها

كانت أنوثتُهنَّ أبداً صاعدةً متسامِيةً فوق موضعها بهذه القناعة وبهذه التقوى ، ولا تزال متسامية صاعدةً ، على حين تنزل المطامعُ بأنوثة المرأة دون موضعها ، ولا تزال أنوثتها تنحدر مابقيتْ المرأةُ تطمع ؛ ورُبَّ ملكةٍ جعلتْها مطامعُ الحياة فى الدرك الأسفل ، وهى باسمها فى الوهم الأعلى . . . !

وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اطَّلَعت فى الجنةِ فاذا أقلُّ أهلِها النساء ، فقلت أين النساء ؟ قال : شغَلَهنَّ الأحمران : الذهب والزعفران[1] . » أى الطمع فى الغنى والعملُ له ، والميلُ الى التبرج والحرصُ عليه

ونفسُ الأنثى ليست أنثى ، ولكن شغلَها بذلك التبرج وذلك الحرص وذلك الطمع — هو يُخصصها بخصائص الجسد ، ويُعطيها من حكمه ، ويُنزلها على إرادته ؛ وهذه هى الزلّة ، فتهبط المرأةُ أكثر مما تعلو ، وتضعف أكثر مما تقوى ، وتَفسد أكثر مما تَصلحُ . إن نفسَ الأنثى أنثى لرجل واحد ، لزوجها وحده

رأيتُ أزواجَ النبى صلى الله عليه وسلم فقيراتٍ مقتوراً عليهن الرزق ، غير أن كلاً منهن تعيش بمعانى قلبها المؤمن القوى ، فى دار صغيرة فرَشها الأرض . . . ولكنها من معانى ذلك القلب كأنها سماء صغيرة مختبئة بين أربعة جدران . إنهن لم يبتعدن عن الغنى إلا ليبعدْن عن حماقة الدنيا التى لا تكون إلا فى الغنى

***

أفٍّ أفٍّ ! أتريدون أن أزوج ابنتى من ابن أمير المؤمنين فيخزيها الله على يدىَّ ، وأدفعها الى القصر وهو ذلك المكان الذى جمع كلَّ أقذار النفس ودنس الأيام والليالى ؛ أأزوِّجها رجلاً تعرفُ من فضيلة نفسها سقوطَ نفسه ، فتكون زوجةَ جسمه ومطلّقةَ روحه فى وقتٍ معاً ؟

ألا كم من قصر هو فى معناه مقبرةٌ ليس فيها من هؤلاء الأغنياء رجالِهم ونسائِهم إلا جيفٌ يُبلى بعضُها بعضاً !

(١) توفى سعيد بن المسيب سنة إحدى وتسعين للهجرة أو حولها ، وكان قد لقى جماعة من الصحابة وسمع منهم ، ودخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهن ، وكان متزوجاً ابنة أبى هريرة الصحابى الجليل ، وعنه أكثر روايته

(١) هذان هما فتنة النساء فى كل دهر ، وهذا الحديث من المعجزات ، فالذهب كناية عن المال والحلى وما كان من بابهما ، أما الزعفران ففيها المعجزة لانها كناية مطلقة فهمها العرب دلالة على الثياب المصبغة ، ونفهم منها نحن كل أنواع زينة النساء ، من المساحيق والعطور ، الى (المودة) التى هى أصباغ معنوية لأشكال الثياب . وقد كان العرب يقولون : غمرت المرأة وجهها إذا طلته بالزعفران ليصفو لونها . ويقولون من ذلك : امرأة مغمرة ، وتغمرت . أى فعلت ذلك (فالزعفران) كما ترى كناية تدخل فيها (البودرة) والأدهان المختلفة ، وكل ما أفسد وجه المرأة ليفسد حياتها الاجتماعية . . . وسنضع إن شاء الله مقالا فى التبرج وحقيقته وفلسفته

٢ – الشيخ على يوسف

للأستاذ عبد العزيز البشرى

تتمـــة



ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردّد ، على أنه كان الى الطول . يظهر فى مرأى العين نحيلا هزيلا ، ولكنه كان مكتنز اللحم . مستطيل الوجه ، واسع مساحة الجبهة ، أزرق العينين ، طويل الهُدبين كثيراً ما ترى له فى إطراقه ، نظرة غريبة ساجية . ضيق الفم ، على أن فى شفتيه الحمراوين شيئاً من الغلَظ . تعلوه صفرة ما أحسبها من أثر مرض . وشعر لحيته الدقيقة المتّسقة يميل الى الشقرة . رفيق الصوت لينه إذا تحدث ، فاذا رفع صوته ضمر بعض الضمور ، وتسلخ بعض التسلخ ، فلم يكن من تلك الأصوات التى تصلح للخطابة

***

قال الراوى : وضجّ الناس لحمامة صغيرة قد جنحت من الهواء فوقعت فى حجر الشيخ لائذةً به من مخافة ، وجعلت تدفّ بجناحيها وتضطرب من الفزع ، ومرّ الصقر على أثرها وقد أهوى لها ، غير أنه تمطّر ومرَق فى الهواء إذ رأى الناس

وتناولها الامام فى يده وهى فى رجفتها من زلزلة الهواء ، وكانت كالعروس مسرولةً قد غاب ساقاها فى الريش ، وعلى جسمها من الألوان نمنمةٌ وتحبير ، ولها روح العروس الشابة يهدُونها الى مَن تكره ، ويزفّونها على قاتلها الذى يسمى زوجها

وأدناها الشيخ من قلبه ، ومسح عليها بيده ، ونظر فى الهواء نظرة . . . . وهو يقول : نجوتِ نجوتِ يامسكينة !

طنطا مصطفى صادق الرافعى

وكان بعدُ رجلاً شديد العقل ، قوى النفس ، حديد العزم ، وافر الشجاعة . لا تتعاظمه قوةُ خصم بالغةً ما بلغت قوةُ ذلك الخصم وبأسه . وإذا تحداه متحدٍّ ركب رأسه فى نضاله لا يبالى أين يقع المصير ، وصحّ فيه قول الشاعر :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمَه
ونكّبَ عن ذِكر العواقب جانبا

وأذكر أنني مضيتُ إليه مرّة فى صحب لى من خُلصائه ، وسألناه أن يترفّق بالمؤيد ، فلقد تظاهر عليه خصومه ، وألّبوا الجمهرةَ عليه ، وأذكوا عليه حماسة الشباب فى رأى له قد لا يحسن فهمَه العامةُ ، ولا يستريح اليه طموح الشباب . فأصغى الينا وأحسن الأصغاء ، وترك كل واحد منا يقول ما عنده ، حتى إذا انتهينا ونحن على الظن بأنه نازل عند رأينا ، عادل إلى ما سألنا ، فاذا هو يرتج فى مجلسه ارتجاجة عنيفة ، ويقول فى قوة وفى عزم حديد : « والله لا يعنيني أن يكون الناسُ جميعاً فى صفّ واحد ، وأنا والحق الذى أعتقده بازائهم فى صف واحد » ! . وتركناه ونحن نرى منحدر المؤيد بطغيان الخصومة يوماً بعد يوم !

ولقد كان الشيخ على ، رحمة الله عليه ، رجلاً متمكناً من نفسه حقاً ، ولقد كان مما يُشاع عنه ، ولعل خصومه هم مبعث هذه الاشاعة ، أنه كان يقول : أنا لا أُبالى أن أخسر هذا البلد ، ففى إمكانى أن أعود فأكسبه بثلاث مقالات . . !

ولقد عاشرتُ الرجل ما عاشرتُه ، واستمكن ما بيننا من الودّ والالف إلى الحدّ الذى يبعثنى على الاعتقاد بأنه ما كان يخفى عني شيئاً حتى من نجوى نفسه فى الأسباب العامة . وشهد اللهُ ما سمعت منه قط هذا الكلام ، ولا أية عبارة أخرى يمكن أن تؤدى معناه

ولكن مع هذا لقد كان هذا هو الواقع ، أعني الواقع من حاله لا من مقاله : فانني لا أعرف رجلا سياسياً عظيما كان أقل الناس أنصاراً وأكثرهم خصوماً كما كان الشيخ على يوسف . وخصومه ، على كثرتهم ، لقد كانوا من جميع الطبقات ، وكانوا من جميع الهيئات ، وإنهم ليحيطون به إحاطة الطوق من كل جانب ، وكلهم عاملٌ على إسقاطه ، جاهدٌ ما امتدّ به الجهد فى هدم المؤيد ، مذكٍ عليه الأقلام والألسن من كل ناحية ، تدمغه بتهمة الخيانة

الوطنية فما دونها فى غير هوادة ولا إشفاق ، والمؤيد يتقلص بين أيدى القارئين ويتقلص حتى يُظن أنه قد تشرّف على العفاء . ثم إذا الشيخ يتجمع ، وإذا هو يشرع القلم شرع الرمح الرُّدَيني ، وإذا هو يطعن الطعنة البكر ها هنا مرة ، وها هنا مرة ، فلا يُصيب إلاّ الكُلَى والمفاصل . وإذا هؤلاء الخصوم يتطايرون عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ، وإذا المؤيد يرنّ فى البلد رنينه ، بعد ما تردد تأوهه وطال أنينه !

وقد عرفت أن الشيخ على يوسف كان مبغَّضاً إلى الكثرة فى البلاد . وإن هذا البغض ليرجع ، فى الأكثر ، إلى أسباب صناعية : منها المنافسات الصحفية ، ومنها الغيرة من موضعه يومئذ من ولىّ الأمر ، ومنها أنه كان هنالك رجال أقوياء ببسطة الجاه وسعة الغنى ، وفيهم كذلك من ذهب لهم فى العلم والأدب صيت وذكر ، كان هؤلاء لا يستريحون إلى سياسة القصر ، ولربما ظاهروا المعتمد البريطانى أحيانًا فى عدائه للقصر . فهم ، بالضرورة ، ينقمون من كل رجل توافيه للقصر ، وخاصة إذا كان رجلاً كالشيخ على يوسف جبار العقل جبار القلم

أرأيت كيف كان هذا الرجل محاطاً من جميع أقطاره بنطاق من المداوات المختلفة ، بل التى يصطرع التناقض أحياناً بين أسباب بعضها وبين أسباب بعض ؟ . على أن إذكاء بغض الشباب والعامة للرجل من جهة ، وبغض بعض الخاصة له من جهة أخرى ، إنما كان يسلكه له خصومه من أحد طريقى الضعف فيه ، إن صحّ هذا التعبير . أولهما أنه كان معتدلاً لا يرى العنف سبيلاً إلى استرداد حقوق البلاد ؛ بل إن هذا العنف لقد يُردها فى أخطار لم تكن لها فى الحساب ، وكان طوعاً لهذا يرى ألاّ يتحدث على الشئون العامة إلاّ الشيوخ الناضجون المجربون ، وهذا وهذا ، ولا شك ، مما لا يُرضى الشباب المشتعل حماساً لحق الوطن . ولا تنسى أن العامة من وراء هؤلاء

أما السبب الثانى فلصوقه بالقصر ، وشدة توافيه له ، ومظاهرته له على الدوام ، وأظن أن هذا مقام لا تحمد فيه إطالة الكلام

مع هذا كله ففى يوم الجُلَّى ، يوم تحدث الأحداث القومية ، ينفض الناسُ قلوبهم حتى يتساقط عنها كل ما علق بها من الحقد على الشيخ على يوسف ، ويُتلعون أعناقهم نحو المؤيد ، شاخصةً أبصارهم ، مرهفةً آذانهم ، معلقة فى انتظار ما يقول الشيخ أنفاسُهم . فاذا النمر الجبار يثب على فريسته من عدوان العادين وثبته ، فلا يزال يوسعها تمزيقاً بمخلبه ، وضغماً بأنيابه ، حتى ما يدعها إلاّ (أعظماً وجلوداً)

نعم ، لقد كان يقول الشيخ على فيروى كل غلة ، ويشفى كل علة ، ويعلو بسطوة قلمه حتى ما ينتهى منتهاه فى ذاك أحد . والناس طراً لهذه النصرة بين مهلل وبين مكبر ! . هذه كانت قدرة الشيخ القادرة ، وهذه كانت قوته العبقرية النادرة . وهذه مقالاته فى أعقاب حادثة دنشواى ما برحت ترن فى آذان من قرأوها إلى الآن

وإنى لأذكر له حادثاً طريفاً فى هذا الباب :

فشت الفاشية ، لا أعادها الله ، بين المسلمين وإخوانهم الأقباط عقب مصرع المرحوم بطرس باشا غالى ، وكان ذلك فى سنة ١٩١٠ ، على ما أذكر ، وعقد الأقباط مؤتمراً مِلّياً لهم فى أسيوط ، وأجابهم المسلمون بمؤتمر مثله فى القاهرة ، وأفضوا برياسته إلى أكبر رجل فى البلاد يومئذ ، وهو المرحوم مصطفى رياض باشا ، واختار القائمون على هذا المؤتمر مثوىً لاجتماعه ملعب مصر الجديدة ، ومضى الناس أفواجاً فى اليوم المشهود ، واجتمع رجالات البلد لم يتخلف منهم إلا من انقطع به العذر . وتصدر الحفل رياض باشا . وتعاقب الخطباء كابراً بعد كابر . فأبلوا فى المقال أيما بلاء ، وأبدعوا فى الخطاب أيما إبداع

حتى إذا كانت النوبة على الشيخ على أذكى بعضُ شبان الحزب الوطنى فى المحتشدين فى بهو الملعب طائفةً من الفتيان من طلبة الأزهر وتلاميذ المدارس ، يسألون القوم ألاّ يصفقوا إذا خطب الشيخ ، ولا يظهروا أية إشارة تدل على الاستحسان . فوعدهم أكثرُ الناس بهذا ، وأصروا عليه مخلصين لما تنطوى صدورهم من حقد عليه ومن بغضاء

وينبعث الشيخ يخطب ، وهو كما قدمت لك غير خطيب . استغفر الله ، بل لقد انبعث يتلو مقالته فى أوراق بين يديه ؛ وأنت حق خبير بالفرق الهائل بين أثر التالى وأثر الخطيب . وما إن مضى فى تلاوته بضع دقائق حتى أُخذ الناسُ عن نفوسهم ،

ونسوا ما عاهدوا أولئك الفتيان وعاهدوا أنفسهم عليه . فبروا من التصفيق أكفهم ، وشققوا بالصياح حناجرهم تشقيقاً ، فكنت تسمع من هتافهم مثل الرعد القاصف ، وترى من اضطرابهم وتموجهم فعل الريح بالأغصان فى اليوم العاصف ! وكان من أشدهم سعراً من كلام الرجل هم أولئك الفتية الذين كانوا يروضون الناس على ألا يلقوا خطابه إلا بالجمود والأعراض

وجُهد بالرجل ، فتعاور التلاوة عنه كل من أستاذنا ابراهيم بك الهلباوى ، والمرحوم أحمد بك عبد اللطيف المحامى الأشهر ، وأنت كذلك خبير بأثر خطبة يتلوها فى الساعة غير منشئها ، ما أرخى اليها من قبل نظراً . ومع هذا فما برحت تزداد الفورة ويشتد بالقوم الفتون !

ولقد أذكر أنه بعد إذ فُرغ من خطاب الشيخ وافقت فى طريق صديقاً لى من شبان الحزب الوطنى ، وهو الآن من أعلام أهل الفضل الذين يتولون منصباً جليلاً فى السلك القضائى . وكان يومئذ مسرفاً غالياً فى التشيع لمبادىء حزبه ، مفرطاً فى بغض الشيخ ، شديد الحمل عليه . ورأيته يضرب كفاً بكف ، فسألته ما به ؟ فأومأ الى مكان الشيخ من منصة الخطابة وقال : (على رِحس الخطبة دى ، يقعد ابن الـ... يخون فى البلد ثلاث سنين) !

ولا زلت كلما لقيت صاحبي أذكره هذه الحكاية ، فيضحك فى غيظ لا أدرى إن كان من تذكيرى له بهذه القصة ، أم أنه ما تزال فى صدره بقية من هذا الضغن القديم ؟ ! الله أعلم !

***

ولقد عرفت أن الشيخ على يوسف كان رجلاً مكافحاً ، بل إن قلمه لم يكن يجود فى شىء مثلما كان يجود فى الكفاح . ولم تكن سياسة الاحتلال فى مصر تخشى سطوة قلم قدر ما تخشى قلم هذا الرجل ، فانه كان فوق كفايته البيانية ، وما آتاه الله من شدة العارضة ، والتمكن من نواصى جلائل المعانى ، لا يهرول إذا هرول فى الصغائر ، ولا يطعن إذا طعن إلا فى الصميم

ولا أحب أن أتجاوز هذا المعنى فى الرجل قبل أن أدل على خلة من خلاله فى كفاحه : ذلك بأنه كان يعتمد أضعف النقاط فى خصمه فيتجمع لها ، ثم يثب عليها بكل قوته ، ولا يبرح يطعنه منها دراكا ، حتى يدوخ رأسه ، ويذهله عن سائر أسلحته ، إذا كانت له أسلحة أخرى تجهز بها لذلك النضال

وكان فى كتابته سريعاً جداً ، حتى لتحسبنه ويده تجول فى القرطاس عازفاً على قانون لا مسطراً بيراع ، وتراه كلما فرغ من وجه الرقعة من الأضامة دفع بها الى من يفضى بها الى المطبعة . وهكذا حتى يأتى على غاية المقال ، لا يتتعتع ، ولا يتحبس ، ولا يحتاج الى مراجعة شىء مما أسلف ، ومع هذا تجد المقال سويا غاية فى الحبك وتناسق الأطراف !

ومن العجب العاجب فى أمره أنه كثيراً ما كان يكتب والغرفة محتفلة بالزوار وأصحاب الحاجات ، يرفعون أصواتهم بفنون الأحاديث والجدل ، بل لقد يأخذ معهم فى بعض ما هم فيه وهو ماض لشأنه لا يشغله هذا عنه كثيراً ولا قليلا !

الشيخ على الصحفى

ولقد كان رحمه الله ، صحفياً بأجمع معانى الكلمة ، يكتب المقال الرئيسى كل يوم بيده ، ويراجع كل ما يدلى به اليه الكتاب من المقالات ، ويفض البريد بنفسه ، فما رآه كفؤاً للنشر أذن فى نشره ، وقد يحذف بعض المقال ويبقى على بعض ، فاذا تهيأت الجريدة للطبع وراجعها المصححون تناولها فقرأها من أولها الى آخرها يصحح ماعسى أن يكون قد فات القوم تصحيحه ، ويتثبت من ألا يكون قد دُس على الجريدة شىء مما يكره ، أو يكون قد سقط اليها فى سر منه إعلان عن خمر أوغيره من المناكر

وكان على جلالة محله ، وكثرة المخبرين لديه ، يطوف بنفسه كل يوم بأكثر الدواوين فى تنسم الأخبار يستخرجها بلطف حيلته من النظار (الوزراء) أو من المستشارين الانجليز فمن دونهم من عيون الموظفين

وهكذا استطاع الشيخ على بكفايته وحد عزمه ، أن يجعل من المؤيد أعظم جريدة فى مصر ، برغم كل ما كان يعتريها من الكيد ، بل أعظم جريدة فى العالم العربى كله

من أخلاق الشيخ على

وقبل أن أختم الحديث فى الشيخ على يوسف أرى لزاماً أن أشير الى فضيلتين من فضائله البارزة بروزاً عظيماً : أولاهما أنه كان خيراً مطبوعاً ، ما رأيته سُئل الخير قط يستطيعه إلا فعله

فان زعمت بعد هذا أنه كانت فى الرجل هَنة أو كانت فيه هنات ، فمن ذا الذى سلم على العيوب كلها ، و (كفى المرءَ نُبلاً أن تعدّ معايبه) . وحسب الشيخ عليّ أنه كان بمجموعة مزاياه ومواهبه مفخرةً من مفاخر هذه البلاد التى لا يسخو بمثلها الزمان و (إن الزمان بمثله لبخيل)

رحمه الله رحمة واسعة ، وعزانا عنه نحن القادريه قدره ، أحسن العزاء ؟

عبد العزيز البشرى

كيف كنت حلاقا ؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

هل وجهى وجه حلاق ؟ ؟

هذا ما ظللت أسأل المرآة عنه أياماً بعد أن وقع لى ما سأقصه اليوم ، والمرآة لا تجيب ، وإن كنت لا أضن عليها بالالحاح وطول التحديق ، أو لعلها أجابت وأبيت أنا أن أسمع أو أصدق . وقد كففت عن مشاورة المرايا وأسلمت أمرى إلى الله ، وأمر وجهى إلى حسن أدب الذين يرونه

وصحيح أنى كنت — وما زلت أحياناً — أحلق ذقنى بيدى ، لأنى كنت فى عنفوان الاضطرام السياسى أخاف أن يوقعنى سوء الحظ فى يد حلاق سياسى لا يشايعنى على رأيى ، فيذبحنى ويروح يدعى أن قتلى كان خطأ لا عن عمد وسبق إصرار ، ولكنى بلوت من متاعب الحلاقة ما زهدنى فيها ، فرددت نفسى على مكروهها ولم أعد أبالى ما عسى أن يصنع برقبتى الحلاقون السياسيون . وللذبح أهون من تهمة الجنون . أى نعم . فقد شرعت مرة أحلق ذقنى ، ولكن حد الموسى كان كليلاً جداً ، فجعلت أحك به وأكحت حتى صار وجهى — أو خدى — الأصفر كالطماطم الناضج ، ولم أعد أحتمل هذا الألم ، وفرغ ما فى صدرى من الهواء من طول النفخ ومن كثرة قولى «أووففف !» فطويت الموسى ، وقلت إن هذا سلخ لا حلاقة ، ولست بشاةٍ ، ثم إنى ما زلت حياً ، ولم أصنع قبيحاً أستحق عليه أن أسلخ وجهى بيدى

وارتديت ثيابى ووضعت منديلاً على جانب وجهى الذى سلخته وخرجت ألتمس دكان حلاق — أقرب دكان — وسرت على بركة الله ، وفى أملى أن يظن من يرانى أن أضراسى توجعنى . واهتديت إلى دكان على كثب من البيت ، ولكن الحلاق كان مشغولاً ، فقعدت أنتظر ، وكفى على المنديل فوق خدى ، وفرغ الحلاق فدعانى فأسرعت إلى الكرسى ، ورفعت المنديل عن وجهى ، وجاء بالفوطة (١) ولف طرفها على عنقى ثم ارتد بغتة ووقف يتأملنى وقد قطب وذوى ما بين عينيه ، فقلت :

« ماذا ؟ ؟ قل ولا تخف ! »

قال وهو يهز رأسه : « كلا . لا شىء ! »

قلت ملحاً : « بل تكلم . . فانى مستعد للإصغاء . . »

فتكلف الابتسام — أعنى أنه ابتسم بشفتيه دون عينيه — وراح يجمع أدوات الحلاقة ويعدها ويرصها ، وكان فى أثناء ذلك يخالسنى النظر ، فلم يبق عندى ريب فى أن الشك خالجه فى صحة عقلى ، وما أحسبه رأى قبلى رجلا يدخل عليه ونصف وجهه محلوق والنصف الآخر يطلب الموسى . وكأنما حار ، ماذا يضع

(١) الفوطة عربية فصيحة وجمعها فوط

مهما يكن فيـــه من عنت ومن إرهاق ، وإنه ليفعل مغتبطاً راضياً هاشاً حتى ليكاد يلتمس السائليه الخيرَ التماساً ، وحتى ليكاد يصدق فيه قول الشاعر (كأنك تعطيه الذى أنت سائله) . وإنى لأعرف أنه كان يجرد صدراً من يومه فى السعى لحاجات الناس ابتغاء رضوان الله ، هذه واحدة . أما الثانية فشدة وفائه . ولقد عرفت صلة الرجل بالقصر ، ومبلغ ضعفه له . ولقد يتغير ولى الأمر يومئذ على رجل من صدقانه أو ممن أسلفوا له يداً ، فتتناهشهم الأقلام من كل جانب ، اللهم إلا المؤيد ، فانه الذى لا يطلق مقالة السوء فيه أبداً ، وحسبك دليلاً فى هذا الباب شدة توافيه للمرحومين الشيخ محمد عبده ، وسعد باشا زغلول ، ورياض باشا ، وغيرهم كثير ، فان كان قد مس بعضهم كما مس رياض باشا عقب خطبته المشهورة ، فلقد كان عذره واضحاً ، وأى وطنى يطيق أن يسمع الأشادة بفضل المعتمد البريطانى على حساب كرامة أمير البلاد ! على أنه فيما مسه لقد كان به أرفق الكاتبين

***

بالنصف الحليق ؟ أيجرى عليه الموسى ؟ أم يدعه ويعني بالنصف الثانى ؟ فقد وضع عليه حد الموسى ثم رفعه ووقف متردداً فقلت لأستحثه :

« تفضل . تفضل . . . إن هذا أيضاً يحتاج الى الموسى »

فألقى إلىّ نظرة سريعة ، وأكب على العمل بلا كلام ، والحلاقون كما يعرف القراء ، ثرثارون ، ولكن منظر وجهى كان له وقع عميق فى نفس هذا الرجل ، فنشف ريقه ، وعصب لسانه ، وانقطع أيضاً ، ولم يسؤنى هذا ، ولكنى فزعت إذ رأيت يده ترعش . فجعلت أدعو الله فى سرى أن يلطف بى ويرأف بعيالى ، ويرحم شبابى

واستجاب الله دعائى لأول مرة . . ولآخر مرة فيما أذكر . . وعلى أنه من يدرى ؟ لعل الرحمة كانت أن يذبحنى الحلاق — عفواً أو عمداً — فما تكون للمذبوح عناية بهذه الفروق

***

واتفق يوماً أنى نزلت فندقاً ، وكان فيه غيرى كثيرون كما لا حاجة بى أن أقول ، وبينهم أجنبى هرم له بنت جميلة ، وكان هذا الشيخ أحمق حاد الطبع ، وبنته على خلافه لينة العريكة سلسة الطباع ، ولو أنها كانت حمقاء مثله لشفع لها جمالها ، فكيف وهى تجمع الى حسن الوجه دماثة الخلق ورقة الحاشية ؟ وعرفتها لأنى اصطدمت بها فأوسعتها اعتذاراً فلم يضق بى عفوها ، وصرنا بعد ذلك كلما التقينا نتبادل التحية — بالرأس — وكنت ألقاها فى اليوم الواحد خمسين مرة ، فلا أدرى أينا الذى كان يتعقب صاحبه ؟ وفى المرة التاسعة والأربعين من اليوم الأول استطعت أن أفتح فمى وأحرك شفتى فقالت مستفسرة :

« نعم ؟ »

قلت : « لا شيء . أعنى أنى أردت أن أقول نهارك سعيد »

قالت : « آه ! صحيح ! نهارك سعيد ! »

قلت : « إ . . إ . . الجو اليوم جميل . . »

قالت وهى تضحك بلا داع : « إ ... نعم ... جـ ... جميل ... »

قلت : « لاخوف من المطر » ، وعضضت لسانى

قالت — وكفت عن الضحك — : « مطر ؟ فى أغسطس ؟ فى الاسكندرية ؟ »

فاضطربت وقلت : « إ ... أعني ... أعنى أن الجو جميل »

فابتسمت ابتسامة خبيثة وقالت : « لقد قلتَ هذا من قبل . . . »

فحقدت عليها — فى سرى — وقلت : « صحيح ! لقد نسيت ! فيا للغباوة ! لقد كنت أظنها جملة مبتكرة ! »

ولو كنا بقينا خمس دقائق بعد ذلك لحلت عقدة لسانى ، فقد عاودتني الثقة بنفسى ، وأيقنت أن العقدة ستحل بعد أن نطقت بآخر كلمة ، ولكن أباها — لعنة الله عليه — ! أبى إلا أن يقبل فى هذه اللحظة ، وكان وجهها اليه ، وظهرى له ، فرأته قبلى وقالت :

« هذا أبى » ، وأشارت اليه

فدرت على عقبى بسرعة ، ولم أكد أبصر وجهه حتى استولى علىّ الرعب ، فهربت بلا كلام ولا استئذان ، ولم يكن ثم باب آخر فى هذه الناحية أخرج منه ، ولم أجد أمامى غير « صالون الحلاقة » ، فدخلته وكان — كما شاء الحظ — خالياً . وشعرت أن بى حاجة الى منعش بعد الذى أصابني من منظر هذا الشيخ الشرس ، فتناولت قطرات من « الكولونيا » وشممتها ومسحت بها وجهى ، وإذا بالرجل يصيح بى :

« ماذا تعني بهذا التلكؤ ؟ لقد بعثت اليك منذ نصف ساعة لتوافيني فى غرفتى وتحلق لى ذقني ! عجل يابليد ! »

وكان من الواجب أن أذهل ، أو أبهت ، أو احتج ، ولكن كرهى له أيقظ حواسى جميعاً ، فقلت هذه فرصة سنحت للانتقام منه ، وأسرعت فقلت :

« حالاً . . حالاً . . كم رقم الغرفة من فضلك ؟ »

قال : « ١٥ . . . »

ومضى عنى ، فجمعت أدوات الحلاقة ووضعتها فى حقيبة صغيرة رأيتها هناك فى ركن ، وخرجت ، فاذا بالفتاة تدنو منى وتقول :

« ماذا تنوى أن تصنع ؟ »

فقلت : « أحلق ذقن أبيك »

قالت : « حاذر . . . هذه مجازفة »

قلت : « أعرف ذلك وأشكرك ، ولكن ألا تثقين بى ؟ »

قالت : « إنك لاتعرف أبى »

قلت . « ثق انك أنت أيضاً لن تعودى تعرفينه ! »

قالت : « دع المزاح . . . لم أكن أظن أنك طائش الى هذا الحد »

قلت : تعالى . . . وانظرى »

وتركتها وقصدت الى السلم ، وهى ورائى

***

ولم تكن الفتاة مبالغة حين حذرتنى وأنذرتنى ، فان أباها شىء فظيع ، وقد أسمعنى فى خمس دقائق من ألفاظ التعنيف والشتم والقذف والطعن والقدح مالم أكن أظن أنه يوجد فى لغات العالم مجتمعة بله فى لغتنا العامية التى يعرف أقلها ويجهل أكثرها ، ولـكنى أنا أيضاً لم أكن مبالغاً حين أكدت للفتاة أنها لن تعرف أباها بعد أن أفرغ من حلاقة ذقنه . فقد أرقت نصف رطل على الأقل من دمه الثقيل ، ولم أكد أضع الموسى على خده حتى صرخ وصاح بى :

« أنت جزار . . . لا حلاق »

فقلت « عفواً سيدى . إن حد الموسى لم يلمس جلدك »

قال « لم يلمس جلدى ! تقول لم يلمس جلدى يا أعمى ! لقد قطع لحمى ! »

فطامنته ، فنهرنى ، وزجرنى عن الكلام ، فأجريت الموسى ، وخرجت بقطعة ثانية من لحمه القديم ، وماذا أصنع إذا كان جلد وجهه عميق الأخاديد ؟ أهذا ذنبى أم ذنبه ؟ وقلت له :

« يحسن بك ياسيدى أن تجىء فى كل صباح بأربع بيضات أو خمس فتكسرها وتصبها فى وعاء وتمزجها بمسحوق الثلج — يعنى بودرة الثلج — وتعجن هـذا بذاك ، وتدهن به وجهك ، وتظل نصف ساعة لا تفتح فمك بكلام ما ، ثم تغسل وجهك . فاذا واظبت على ذلك شهراً كاملا عادت الى وجهك نعومته باذن الله

فصاح بى « اخرس . أقول لك اخرس »

فقلت « طيب خرست » وواصلت انتقامى . وكنت قد بلغت عنقه ، فجعلت أنظر الى الفتاة نظرة لا تخفى دلالتها ، نظرة طيها الحقد والتصميم على القتل عمـداً ومع سبق الأصرار ، ورفعت يدى بالموسى نحو ذراع ، وهممت أن أهوى بها على رقبته ، وإذا بالفتاة تصرخ ، فارتددت مذهولا ، ووثب هو عن الـكرسى وذهب يعدو اليها ، وسألها « مالك ؟ »

فلم تجبه ، وجعلت تشير إلىّ وتهيب بى أن « إخرج . اخرج . . . »

فهززت رأسى آسفاً ، فقد ذهبت الفرصة الى حيث لا يمكن أن تعود ، فسألها هو :

« يخرج ؟ يخرج كيف ؟ ويدعني هكذا » وأشار الى خده الآخر الذى لم يحلق

فقالت « إنه ليس بحلاق ! »

قال « إيه ؟ ليس بحلاق ! »

ودار فالتفت إلىّ ، فرآنى أضحك ، فطار عقله ، وتحرك يريد أن يهجم علىّ ، فتذكرت ما يفعل الذين يقـاتلون الثيران فى أسبانيا ، فخطفت الفوطة وألقيتها على وجهه ، وفررت

***

وقالت لى الفتاة بعد ذلك :

« لم أكن أعلم أنك شرير »

قلت « شرير ؟ ؟ »

قالت « نعم . . كدت تقتله وتقتل نفسك »

قلت « أينا كنت تبكين عليه ؟ »

قالت « لا تكن خبيثا . . . إنه أبى »

قلت « لا أصدق . . . »

قالت « من فضلك . . . لا تذكره بسوء أمامى »

قلت « اعترفى إذاً أنه . . . »

قالت « لو كنت أعتقـد أنك ستقتصر على جرح أو جرحين . . . »

قلت « وهل كنت تتوهمين أنى يمكن أن أذبحه ؟ »

قالت « لقد خفت والله . . . »

قلت « يابلهاء . . . لأجل عين تكرم ألف . . . »

وصرنا صديقين ، ولـكن أباها لا يرانى — الى اليوم — إلا ارتد راجعاً ، وحسناً يفعل . . .

ابراهيم عبد القادر المازنى

نذر الحرب الجديدة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تشهد معظم العواصم الأوربية منذ أشهر فترة غير عادية من النشاط السياسي ؛ وقد تحول هذا النشاط منذ مأساة مرسيليا التى ذهب ضحيتها الملك اسكندر ملك يوجوسلافيا ومسيو بارتو وزير الخارجية الفرنسية ، الى نوع من الحمى الدبلوماسية . وتلوح اليوم فى أفق السياسة الأوربية سحب كثيفة تثير الجزع فى كثير من العواصم والأمم . ما الذى سيعقب مأساة مرسيليا من الحوادث والتطورات سواء فى يوجوسلافيا ذاتها أم فى أوربا بصفة عامة ؟ وهل يكون السلم فى خطر حقيقى ؟ وهل نشهد اليوم مقدمات أزمة دولية مستعصية قد تفضى الى نشوب الحرب ؟ هذه الأسئلة الخطيرة تتردد اليوم فى جميع دوائر السياسة العليا لا على أنها هواجس واحتمالات بعيدة الوقوع ، ولكن على أنها فروض حقيقية خطيرة يجب التحوط لها

وقد لوحظ بحق أن للجريمة السياسية شأناً كبيراً فى إثارة هذه السحب التى تحلق اليوم فى أفق السياسة الأوربية ؛ فمنذ أشهر قتل مسيو دوكا رئيس الوزارة الرومانية فترتبت على مقتله صعاب وأزمات مازالت رومانيا تعانى من أثرها ؛ وفى أواخر يولية الماضى قتل الهير دولفوس رئيس الحكومة النمسوية فى ظروف وحشية فأثار مقتله أزمة سياسية خطيرة لا فى النمسا وحدها ، ولكن فى أوربا الوسطى كلها ، وذهبت إيطاليا فى إجراءاتها وتحوطاتها لصون استقلال النمسا من اعتداء ألمانيا وعمالها المأجورين ، الى حشد الجنود على حدود النمسا الجنوبية ، ولاح شبح الحرب واضحاً مدى حين . ثم كان مقتل الملك اسكندر ومسيو بارتو أخيراً فى مرسيليا ، فبدت الأزمة الأوربية فى أروع مظاهرها ، وتجددت نذر الخطر وأحاديث الحرب . ويخشى المتشائمون أن يكون التاريخ إنما يعيد نفسه ، وأن تكون مأساة مرسيليا قرينة مأساة سيراچيفو ونظيرتها فى الظروف والنتائج . والحقيقة أن مؤرخ الحرب الكبرى لا يسعه الا أن يعتبر مأساة سيراچيفو من أهم العوامل — الظاهرة على الأقل — فى اثارة الحرب . فقد اتخذت امبراطورية النمسا والمجر مقتل الأرشيدوق فرنز فرديننـد وقرينته فى سيراچيفو فى ٢٨ يونيه سنة ١٩١٤ بيد طالب صربى سبباً لاعتبار حكومة صربيا مسئولة عن الجريمة مباشرة ومطالبتها فى بلاغ نهائى بمطالب عدتها صربيا افتئاتاً على سيادتها ؛ وشدت ألمانيا أزر النمسا فى موقفها ، ولكن روسيا تدخلت لتعضيد صربيا ضد النمسا باعتبارها حامية الشعوب السلافية . وكانت الأزمة الخطيرة التى أدت الى وقوع الحرب بعد ذلك بأسابيع قلائل

وإذا لم يمكن لجريمة مرسيليا مثل هذه النتائج السريعة الحاسمة ، فلا ريب أنها زادت الأزمة الأوربية تعقيداً وخطورة ، وكانت عاملاً جديداً عميق الأثر فى زعزعة السلام الأوربى . واذا وقعت حرب جديدة فى القريب العاجل ، فان جريمة مرسيليا تكون بلا ريب بين عواملها الأولى . ومن المعروف أن السياسة الأوربية كلها تقوم اليوم على تهيئة أسباب الهجوم والدفاع فى الحرب القادمة ، وأنها تأخذ الطابع القديم الذى يوصف فى لغة السياسة بالسلم المسلح ، أو السعى الى صون السلام بالاستعداد للحرب دائماً . ومثل هذه السياسة تخضع دائماً لأزمات الساعة ، لأنها تقوم على الأثرة والقومية المغرقة ، وليست تحدوها أية مثل إنسانية أو دولية عامة . وقد وقعت جريمة مرسيليا فى وقت تجتمع فيه أوربا فى معسكراتها القديمة التى حالت آثار الحرب الكبرى مدى حين دون بعثها وتكونها . والدول التى تسيطر على مصاير السياسة الأوربية اليوم هى فرنسا وألمانيا وايطاليا وروسيا ؛ وهى التى تتجاذبها فى تكوين المعسكرات الهجومية والدفاعية ؛ وفرنسا أشدها سيطرة على الموقف ونفوذاً فى تطوراته ، ومقصد السياسة الفرنسية معروف هو العمل بكل الوسائل لعزل ألمانيا عن باقى الدول الأوربية حتى لا تقوى بالتحالف على مهاجمة فرنسا ، وإحاطتها بسياج من الدول الخصيمة المتأثرة بالسياسة الفرنسية حتى تبقى دائماً فى موقف الأحجام والضعف ؛ وإذا وقعت حرب فان فرنسا تستطيع بمعاونة حلفائها أن تتغلب على ألمانيا . وقد سارت فرنسا فى هذه السياسة الى ما قبل جريمة مرسيليا شوطاً بعيداً ، واستطاعت أن تجذب روسيا السوفيتية الى معسكرها وأن توثق سياسة التحالف الروسى الفرنسى القديم بعد أن لبثت روسيا مدى حين بعيدة عن حظيرة الدول الغربية ، وأن تتوج هذا التحالف بالعمل على ضم روسيا الى عصبة الأمم بعد أن لبثت تخاصمها منذ قيامها . وقد كانت السياسة الألمانية ما قبل الحرب تغالب التحالف الروسى الفرنسى بالتحالف الألمانى النمسوى .

ولكن امبراطورية النمسا والمجر القديمة قد ذهبت وقامت على أنقاضها دول تخاصم ألمانيا أو تتأثر بالسياسة الفرنسية . والسياسة الفرنسية هي التي خلقت كتلة التحالف الصغير في أوربا الوسطى من يوجوسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا ، وهي التي توجهها في سياستها الأوربية . ولما قامت الحركة الهتلرية في ألمانيا ، وظهرت ألمانيا في صورة المهدد لفرنسا ، والمهدد للسلام الأوربي ، ضاعفت فرنسا جهودها في توثيق التحالف بينها وبين روسيا ودول التحالف الصغير خصوصاً بعد أن شعرت أن بولونيا قد أخذت تتحرر من نفوذها وتتجه نحو ألمانيا . وكان من أهم أغراضها أن تجذب يوجوسلافيا بصورة نهائية الى جانب السياسة الفرنسية لأنها شعرت أن السياسة الألمانية قد أخذت تتجه نحو يوجوسلافيا وتحاول كسبها بوسائل شتى . ولكن فرنسا رأت من جهة أخرى أن هذا التحالف لا يحقق الغاية المنشودة إلا اذا آزرته ايطاليا . وبين ايطاليا ويوجوسلافيا خصومة قديمة ، فيجب أن تذلل قبل كل شيء

لهذا كانت رحلة مسيو بارتو إلى يوجوسلافيا ، وكانت رحلة الملك اسكندر إلى فرنسا ، وكان المقرر أن تكون مفاوضات الملك اسكندر مع الحكومة الفرنسية تمهيداً لمفاوضات فرنسية إيطالية تجرى في رومة ، وتسوى فيها جميع المسائل والخصومات القائمة بين إيطاليا ويوجوسلافيا من جهة ، وبين فرنسا وإيطاليا من جهة أخرى ، وكان الأفق مناسباً لتحقيق هذا البرنامج ، لأن إيطاليا كانت قد بدأت في الآونة الأخيرة تتباعد عن ألمانيا على أثر حوادث النمسا التي انتهت بمقتل الهير دلفوس ، وافتضاح نيات ألمانيا ومشاريعها نحو الاعتداء على النمسا ؛ وتم الشطر الأول من هذا البرنامج بالمفاوضات التي وقعت في بلغراد بين فرنسا ويوجوسلافيا ؛ ولكن الشطر الآخر لم يتحقق لأن الملك اسكندر ماكاد يطأ أرض فرنسا حتى سقط قتيلاً برصاص الوطنيين الكرواتيين وسقط إلى جانبه مسيو بارتو ؛ وأخرت هذه المأساة مشاريع السياسة الفرنسية إلى حين ؛ وأودت بمشاريع حكومة بلغراد ، وبعثت إلى أفق السياسة الأوربية ، ولا سيما أوربا الوسطى ، ريباً وهواجس جديدة ، وأثارت صيحة الحرب مرة أخرى

والواقع أن مقتل الملك اسكندر كان ضربة شديدة ليوجوسلافيا ؛ وقد بينا في مقال سابق كيف أن تكون يوجوسلافيا الجديدة من عناصر متنافرة خصيمة يعرض وحدتها للتمزق دائماً ، وكيف أن هذه الوحدة تقوم على أسس مصطنعة في ظل طغيان حديدي كان الملك اسكندر عماده وقائده ، فالآن يحدق الخطر بهذه الوحدة المغصوبة ، وتقف حكومة بلغراد حائرة متوجسة من المستقبل القريب ؛ وتقف إيطاليا أيضاً مترددة تسبر غور الاحتمالات الجديدة . هل تستمر في الاصغاء إلى عرض السياسة الفرنسية ، فتهادن يوجوسلافيا وتحالفها وتدخل في حظيرة هذا التحالف الذي يجمع دول الاتفاق الصغير وروسيا إلى جانب فرنسا ؟ ومما يزيد في تردد إيطاليا ما تحاوله ألمانيا لديها الآن من تحويلها عن ذلك الطريق ، وإعلان استعدادها لضمان استقلال النمسا ، وتسوية المسائل الأخرى التي تهم إيطاليا ؛ بيد أن السنيور موسوليني يقف الآن وقفة المنتظر ليرى أولا ما يمكن أن تحدثه آثار جريمة مرسيليا في شئون يوجوسلافيا الداخلية ، وهل يوجد ثمة ما يحمل على الاعتقاد بقرب تفكك هذه الكتلة السلافية الخطرة التي خلقتها معاهدة الصلح ، والتي تنازع إيطاليا سيادتها في بحر الأدرياتيك ، وتهدد نفوذها في البلقان وأواسط أوربا ، وهل تقوم في يوجوسلافيا حركة انفصالية ، يقوم بها العنصر الكرواتي خصيم العنصر السربي الذي يستأثر بالسلطة في يوجوسلافيا ، ويضطهد العناصر الأخرى ؟ فاذا آنس موسوليني شيئاً من هذه البوادر فقد يفضل أن يستبقي حريته في العمل مدى حين ؛ وعندئذ تعمل إيطاليا من جانبها على تشجيع العناصر الانفصالية في يوجوسلافيا ، حتى يتم تفكك هذه الكتلة السلافية ، وتستطيع إيطاليا أن تتجه ببصرها نحو دلماتيا التي تطمح إلى امتلاكها ، وعندئذ ينهار التحالف الصغير أيضاً ، وينفتح أمامها مجال العمل في أوربا الوسطى

على أن فرنسا تعمل من جهة أخرى بكل ما وسعت لتحقيق التفاهم والتحالف مع إيطاليا . وهي على أهبة لأن تضحي في هذا السبيل ببذل بعض المطالب التي تطمح إيطاليا إلى تحقيقها . وما تعرضه فرنسا على إيطاليا ينحصر فيما يأتي : (١) تعديل الحدود الطرابلسية من جهة تونس ، والتجاوز لايطاليا عن بعض المناطق المتاخمة لبرقة (٢) عدم مقاومة التوسع الايطالي في طرابلس من جهة الجنوب في اتجاه بحيرة تشاد (٣) عدم مقاومة مشاريع إيطاليا وأطماعها في الحبشة (٤) تسوية مسألة الرعايا الايطاليين في تونس ، ومنحهم بعض الحقوق والمزايا الخاصة ؛ فهذه عروض

ومزايا لاتستطيع إيطاليا أن تأبى قبولها ، خصوصاً إذا علمنا أن التوسع الاستعماري قد غدا من أعظم أهداف السياسة الفاشستية .
وعلى أى حال فان برنامج السياسة الفرنسية لم يتغير بمقتل مسيو بارتو ، وقد أعلن مسيو لافال وزير الخارجية الجديد أنه سيعمل لاتمام ما بدأ به سلفه ؛ وسوف يقوم بزيارة رومة كما كان مقرراً من قبل للمفاوضة فى تحقيق البرنامج المرسوم

هذه هى خلاصة العوامل التى تسيطر الآن على مجرى السياسة الأوربية . والظاهرة الجوهرية التى تبدو خلال ذلك كله هى اشتداد التنافس فى إحياء المعسكرات الأوربية القديمة ، وإنشاء الكتل الهجومية الدفاعية التقليدية . لماذا ؟ استعداداً لحرب تلوح فى الأفق . ومازالت فرنسا هى المتفوقة فى هذا الميدان ، ولكن ألمانيا تعمل أيضاً ، رغم عزلتها السياسية على إنشاء معسكرها ، وحشد حلفائها . وقد ظفرت أخيراً بكسب بولونيا وسلخها عن كتلة الدول المتأثرة بالسياسة الفرنسية وإحداث أول ثغرة بذلك فى المعسكر الفرنسى . ولم تعبأ ألمانيا بفداحة الثمن الذى دفعته لتحقيق هذه الغاية ، وهو التسليم بالممر البولونى الذى يشق أراضيها الى البحر . ومازالت ألمانيا تتمتع بشىء من العطف فى المجر ويوجوسلافيا لأنها تشترى محاصيل البلدين . ولكن ذلك لايمكن أن يعوض عليها خسارتها الفادحة بفقد معاونة روسيا ومحالفتها ؛ وقد كان إغضاب روسيا وفقدها من أعظم أخطاء ألمانيا الهتلرية ، خصوصاً وأن روسيا لم تتحول عن ألمانيا إلا لكى تتفاهم وتتحالف مع فرنسا ألد وأخطر خصومها . وروسيا السوفيتية قوة لايستهان بها

وقد يكون من المبالغة أن يقال إننا الآن على أبواب حرب قريبة ، ولكن ليس من المبالغة أن نقول إننا نشهد الآن نذر الحرب القادمة ومقدماتها . ومتى هذه الحرب ؟ قدتقع بعد أشهر وربما بعد أسابيع إذا تطورت الحوادث فى يوجوسلافيا فجأة ، وأفلت زمام الموقف من يد حكومة بلغراد ؛ وقد لا تقع إلا بعد عامين أو أعوام قلائل اذا بذلت جهود صادقة لاتقائها أو لتأخيرها . وعلى أى حال فليس مبالغة أن نقول إننا نشهد الآن من تطورات السياسة الأوربية أقربها وأشبهها بتلك المرحلة التى تقدمت الحرب الكبرى ، وبلغت ذروة خطورتها فى صيف سنة ١٩١٤ . والواقع أن أسباب الأزمة الأوربية الكبرى تجتمع وتتفاقم منذ عامين ؛ وأهمها بلا ريب إخفاق مشروع نزع السلاح ، والفشل الذريع الذى لقيته عصبة الأمم فى حل مختلف المشاكل الدولية ؛ وانهيار سياسة التفاهم الدولى والتحكيم التى بلغت ذروتها بعقد ميثاق تحريم الحرب ، ولم يلبث أن ظهر عقمها من الوجهة العملية ، ثم قيام الحركة الهتلرية فى ألمانيا وماجنحت اليه من سبل العنف والوعيد ، وما أثارته فى فرنسا من هواجس ومخاوف جديدة . بيد أن هذه الأسباب كلها ترجع الى أصل واحد ، هو معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) التى لم يراع فى وضعها سوى تحقيق شهوات الظافرين وأطماعهم ، ولم يقصد بها الى وضع أى سلام شريف دائم ، ولكن أريد بها تحطيم قوى الأمم المغلوبة ، وتمزيق وحداتها القوميــة دون مراعاة الحدود الجغرافية ووحدة العناصر وتراث التاريخ ، فجاءت كالبركان الصامت يضطرم فى خفاء ، ولكن تسرى ناره تحت الهشيم ، وغدت أعظم عامل فى إثارة الأحقاد والأطماع القومية ، وخلقت مشاكل الحدود والأقليات الشائكة فى طول أوربا وعرضها ، ومهدت الى هذه الأزمة الشاملة التى تهب ريحها اليوم على أوربا منذرة بشر العواقب

وكما أن الأزمة الدولية الكبرى التى اجتمعت أسبابها قبيل الحرب قد لقيت نذر انفجارها فى مأساة سيراچيڤو ، فكذلك تلقى الأزمة الدولية الحاضرة نذيراً خطراً فى مأساة مرسيليا ، واذا كانت حكومة النمسا الأمبراطورية قد رأت يومئذ أن تحمل الحكومة السربية تبعات هذه الجريمة الرائعة ، وأن ترتب عليها من المطالب الفادحة ماأثارت له روسيا وعجل بوقوع الكارثة ، فكذلك ترى حكومة بلغراد أن تحمل الحكومة المجرية تبعة جريمة مرسيليا ، لأنها تأوى فى أرضها عدداً كبيراً من اللاجئين الكرواتيين ، وتتقدم اليها بمطالب ترى فيها افتئاتاً على سيادتها ؛ وقد يكون ثمة فارق بين وقع الجريمتين فى سير الأزمة الأوربية ، ولكن الذى لاريب فيه هو أن جريمة مرسيليا من أخطر العوامل فى تفاقمها . فسلام أوربا ، وربما سلام العالم ، فى خطر لاريب فيه ، واذا تركت الأمور فى مجراها الحاضر ، ولبثت الأحقاد والأطماع القومية على حالها مطلقة العنان ، واذا لم تتضافر القوى النزيهة المخلصة لقضية السلام وتقف سداً منيعاً فى وجه هذا التيار الخطر ، فسوف نشهد فى القريب العاجل انفجار البركان المروع مرة أخرى ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

عـــودة ...

بقلم جورج وغريس

« امرأة هجرها زوجها منذ أمد بعيد ، فعاشت وحيدة مع طفلها إلى أن قضت نحبها ، فذرفت عيني دمعاً التأمت قطراته فى كلمات قرأها الزوج الهارب فى العدد الحادى والستين من « الرسالة » ثم جاءنى يسعى ... ... »

فى سكون الليل الرهيب طرق طارق باب منزلى ، فلما أن فتحته وجدت أمامى شخصاً لم أتبينه

قلت : مَن ؟

قال : ألا تعرفنى ؟

قلت : معذرة . . فمن طبيعة الانسان أن ينسى ، ومن صفات الليل أن يسكب على الأشياء لوناً غير لونها

قال : صديق قديم

قلت : « مرحباً » .. ثم أخذت بيده الى غرفه الاستقبال ، وتحت ضوء المصباح رأيت أمامى رجلاً فى الحلقة الرابعة من عمره ، ترتسم الكآبة على وجهه الشاحب ، ويظهر عدم الاكتراث على لباسه غير المنتظم ورباط رقبته الذى يتدلى على قميصه كالخرقة البالية ... قلبت بصرى فى زائرى الكريم ، ولكننى لم أذكر تلك الصداقة القديمة التى كانت تربطنى به ، لذا أحسست فى نفسى بشىء من الريبة والخوف . وقبل أن أقول شيئاً أو أبدى حركة اعتدل ضيفى فى جلسته ثم قال :

— أماتت حقيقة . . . ؟

قلت : مَنْ ؟

قال : زوجتى

قلت : ماذا تعنى ؟ أنت أعلم بحالها ، أما أنا فلا أدرك ما تقصد ولا أدرى من أمرك شيئاً

قال : بل إنك تدرى كل شئ ، ولكنك تريد أن تجهلنى وتجهل كل شىء ، وبالأمس أخرجت للناس صورتى مشوهة ممسوخة ، أملاها عليك خيالك الحاقد وأعصابك الثائرة ، فقد قرأت فى « الرسالة » ... ...

قلت منتفضاً : أأنت فلان ... ؟

قال : نعم

قلت : معذرة ... لقد غيرت الأيام من سحنتك ، وبدل الزمان من هيئتك ، حتى أضحيت شخصاً غير الذى كنت أعرفه أتدرى مافعل الخريف فى الشجرة المورقة الفينانة ؟ أتعلم ما ينتابها من تساقط أوراقها وتراجع أغصانها وتقلص ظلالها ... ؟ إن ما يصيبها ياصديقى فى تلك الآونة لأهون والله مما أصابك فى خريف حياتك ، ولئن كان لتلك الشجرة ربيع تستعيد فيه ما فاتها وتسترجع فيه أسباب الحيـاة ، فهيهات أن تجد لنفسك ربيعاً يبدل من حالك بعد هذا الجـدب الذى أصابها . وحسب الأيام منك الآن أنها ستقف عند الحد الذى وقفت عنده فلا هى بدافعة بك الى الأمام لأن النمو من خصائص الطبـائع الحية ، ولا هى بقاذفة بك الى الخلف لأنك فى قرار الهوة ... ولطالما مدت اليك حبال النجدة ، وقد فتلت من خيوط الرحمة والعطف والصفح والمروءة . ولـكنك أبيت إلا أن تقطعها بأسنة الجحود والنكران والرياء والختل ، فربطت مصيرين بمصيرك ، وقتلت نفسين وأسأت الى نفسك

قال : مهلاً ، فقد بدأتنى قبل أن أبدأك ، وأوغلت فى القول وما تركت جارحة إلا وأرسلتها تنهش فى نفسى ، وأرانى قد جئت لأغسل إهانة فأتبعتها بأخرى ، وأتيت لأرد سهماً فأصابتنى منك سهام ، ولا أدرى من سبب يجعلك منى فى هذا الموقف العنيد سوى أنك كنت تنظر بعين واحـدة فى قصتى وتسمع بأذن واحدة . وليس ببعيد على المرأة التى تدفع العالم بيدها الرقيقة دفعاً شديداً فى غير رفق ولا هوادة أن تكون قد سكبت سمومها فى نفسك فجعلت منك نصيراً لقضيتها ، وهى إذ تكسبك الى جانبها تدفعك فى الواقع عن طريقها

لقد خلصت زوجتى من براثن أبيها ، ولكنها منذ اللحظة الأولى وهى تريد أن يصرع رأيها رأيى ، وأن تقف رغبتها دون رغبتى ، فاذا قلت قولاً أبدت نقيضه ، وإذا أديت فعلاً امتعضت منه ، كأن الله قد جعل القبح من نصيبى فى القول والفعل ، او كأنه وضع كل الجمال بين شفتيها وعلى أطراف أناملها ليكون غلافاً حسناً لكل ما تقوله أو تعمله ... ... أردت لها الحجاب فأعلنت السفور ، وأخذت عليها العناد فأنكرت علىّ هذا الحق ، وأحببت أن تكون كما أريد فشاءت أن تكون كما تحب . وكان لى صديق أحبه وأعزه ، ويزورنى فى منزلى وأتردد عليه فى داره

فوشت لى به ، وفى سورة الغضب كدت أقتله ، ولولا قرائن فى براءته وحزم فى تفكيرى لكان هذا الصديق اليوم وديعة القبور ، وكنت أنا نزيل السجون . . . كان من أثر كل هذا أن أحسست بآمالى ترتطم بصخرة قاسية ، وشعرت بالأفق العريض تضيق دائرته شيئاً فشيئاً ، حتى أوشك أن يجعل لى من هذه الحياة قفصاً لا حيلة لى فى رد غائلته . . . فماذا كنت تريدنى أن أفعل ياصديقى وهذه الأسباب قد أجمعت علىّ أمرها فغلبتني على أمرى . . ؟ لقد وليت هارباً ، ولكن ضميرى ظل يضايقنى باحتباسه حتى أفرجت عنه بكأس الخمر . . تلك الكأس التى أحرقت هومى وأحرقتنى ، وأذابت ضميرى وكبدى ، وسلبتنى ولم تعطنى . . . أليست تلك النار من الشعلة التى أسلمتها الشياطين ليد المرأة . . ؟ إنك تقدر المرأة لأنك غريب عنها ، ولكن اعلم ياصديقى أنها منذ القدم آلة فساد ، وعنصر تقلب ، وأداة رياء ، وكل مافى الحياة من شر إنما هو بسمة خادعة انفرجت عنها شفتا امرأة ، وهذا المصير المحزن الذى انحدرت إلى أعماقه ، إنما يرجع إلى تلك المرأة التى أحببتها فكرهت لى الحياة ، وغمرتها بفضلى فرفعت رأسها كالحية الرقطاء . . . مرت الأيام كالأشباح الهزيلة ، وأنا أهيم على وجهى إلى أن شاءت الأقدار أن تدفع إلى يدى صحيفة « الرسالة » فقرأت عن المرأة التى هجرها زوجها فماتت كظيمة الحزن دفينة الألم ، وبقى طفلها على صدرها يبكى وينتحب ، ورأيت طرفاً من قصتى يختبىء بين سطور تلك القصة ، وما إن وصلت فى القراءة إلى اسمك فى ذيل المقال ، حتى ذهب عنى الشك ، وتذكرت جارى القديم ، وأخذت عليه اندفاعه فى الكتابة دون تبصر أو روية . . . وها أنا قد سعيت إليك بعد أسابيع ، بعث الله لى فيها من تولى الدفاع عنى ، فقد قرأت بجوار قصتك ما كتبه الرافعى فى « تربية لؤلؤية » وتابعت ما وصف به المرأة فيما تلا ذلك من أعداد ، فسررت ان رأيت المرأة تدفع دفعاً إلى المكان الخليق بها . . .

قلت : يشاء الجمود أن يجعل فى نفسك طبيعة صخرية حتى أمام جلال الموت ، وتشاء تلك الطبيعة الصلدة أن تنبش قبور الراقدين فى غير رحمة ولاشفقة ، فزوجتك التى لفحت وجهى بأنفاسها المحترقة وهى تعانى عذاب الموت ، والتى ظلت تردد اسمك الى أن لفظت روحها ، تلك الزوجة المسكينة المنكودة يأبى عليها القدر القاسى أن تفوز منك وهى تحت أطباق الثرى إلا بوابل السخط واللعنة تصبه على جدث هامد لا يملك رد غائلة ، ولا يقوى على دفع نازلة ، وهذا لعمرى عداء ضاعت منه صفة الشرف . . . والمرأة مذ خلقت ، وهى تعانى شر هذا العداء لا لشىء سوى أن الرجل يميل بطبيعته الى جنسه ، وتدفعه الأثرة الى أن يسوّد نفسه ويعظم من شأنه ، ويحقر من أمر تلك المخلوقة التى جاءت تنازعه البقاء ، فهو فى عصوره الأولى كان يبعث بالمرأة طعاما للآلهة ، وهو فى الجاهلية كان يئد مولودته ولا يعترف لها بالحياة ، وفى اليابان كان الرجل يدفع بابنته الى أمكنة الفجور خرقة يمسح بها الرجال شهوتهم حتى تسد ديون أبيها . وفى الصين كان الرجل اذا ما وُلد له غلام ذكر يفرح ويتهلل ، أما إذا كان المولود أنثى قال مكتئباً : « لقد سقط حجر من سقف منزلى . . . » ، حتى فى عهود المدنية ، وفى مواطن الحضارة ، يدفع ظلم الرجل المرأة إلى ما يسمونه « الرقيق الأبيض » وهو اللطخة الدامية فى الجبين الناصع ، وفى مصر وبلاد الشرق لاتفوز الزوجة غالباً من زوجها إلا بما تفوز به الخادم من سيدها . فهل رأيت حالة كريهة كالتى تعانيها المرأة منذ ولادتها حتى يحويها الرمس . . . ؟ وأى الأمراض انفردت بها المرأة عن الرجل حتى استحقت منه هذا الجزاء ... ؟ أليست كل امرأة ابنة لرجل ، وزوجة لرجل ، وأما لرجل . . تأخذ الخلق عن أبيها ، وتهديه الى زوجها ، وترضعه لطفلها . . . ؟ فاذا فسدت المرأة أليس هذا الفساد أثراً من تهاون أبيها فى تربيتها . . . ؟ وإذا ضلت المرأة أليس من بين الرجال من هم أشد منها ضلالاً وأقبح رذيلة . . . ؟ ولئن جاز للرجل أن يقول فى كل ما ينتابه من مصائب : « فتش عن المرأة » ألا يجوز للمرأة أن تقول فى كل ما يلحقها من أذى : « فتش عن الرجل » ... ؟

وأعجب العجب قولك ان الأستاذ الرافعى يدافع عنك فيما كتبه ويكتبه ، وهذا لا يمكن أن يقع لأنه إنما يكتب عن عقيدته الخاصة فى المرأة . ومهما فاض « السحاب الأحمر » بما توحيه اليه تلك العقيدة ، ومهما جاء فى كتاباته فى « الرسالة » عن الحجاب والسفور فهو لايوافقك على تلك اللطمة القاسية التى صفعت بها خد المرأة . والحجاب الذى ينادى الرافعى به فى « تربية لؤلؤية » لا يمكنه أن يعيش طويلاً بعد تلك النظرة الساخرة التى ترسلها اليه مدنية القرن الحاضر ، ولا أدرى ، ولا أحد يدرى ما ضر المرأة الفاضلة إن خرجت سافرة ، أو ما نفع المرأة الفاسقة إن قعدت متحجبة . . ؟ وأى الرذيلتين أشد ضرراً ، تلك التى

تستتر خلف الجدر كالداء الذي يختبيء في قلب العليل لا يدركه ولا يتداركه، أم تلك التي تتكشف سافرة، ويبين قبحها كالمرض الذي يظهر على صفحة الجسم، ما تلمحه العين حتى يلحقه العلاج..؟

للمرأة عقل كما للرجل. وكذب من ألصق بها العاطفة دون العقل، وإلا ما حلّقت في سماء العظمة أسماء جان دارك ومدام كوري وايمي چونسون. ولما حكم النساء بجوار الرجال في أكبر الدول شأناً وأرفعها مكاناً. فحرام أن يأخذ الرجل من كبريائه صدأ يغشى به عقل المرأة ليغرب خيالها عن ميدانه، وكفى ما نعانيه لغيابها عنه من ركود في المجتمع، وشذوذ في العلائق، وخشونة في الحديث، وعقم في التفكير. حتى أصبحنا أضحوكة الغرب اذ أننا نسخر من لهوه، ولا نأتي جدنا بجديد...

قال: يصعب على من تلدغه الحية أن يشعر نحوها بدافع من الرحمة أو العطف، وإذا صح لي أن أوافقك على بعض ما ذكرت عن المرأة فالسفور أبعد ما يكون عن تأييدي، وليكن لك فيه رأيك، ولكن دعني أكن على دين «الرسالة»

قلت: وما دين «الرسالة»...؟

قال: الحجاب...

قلت: وكيف حكمت؟

قال: ألا تعلم أن مبدأ الصحيفة إنما يشتق من مبدإ كتابها، فعقيدتها هي عقيدتهم ورأيها هو رأيهم الذي ينادون به على صفحاتها...؟

قلت: هذا في السياسة، أما في الأدب والاجتماع فمظهر النشاط فيهما هو تضارب الفكر واختلاف الرأي، والرسالة لا يمكن أن تنادي بالحجاب، ولكنها مع ذلك ميدان حر لأقلام الكتاب على اختلاف نزعاتهم. وإن كنت قد قرأت فيها للرافعي وصفه للحجاب أنه «كالصدفة لا تحجب اللؤلؤة ولكن تربيها في الحجاب تربية لؤلؤية»، وقوله عن قاسم أمين إنه «قد تكلف ما لا يحسن» فأغلب الظن أنك لم تقرأ ما كتبه الزيات صاحب «الرسالة» عن المرأة والحجاب، وهو يخالف الرافعي فيهما خلافاً بيناً؛ في العدد السابع من «الرسالة» تراه وهو يكتب عن شواهده «في العيد» يستنكر هذا الفتور الذي تقابل به أعيادنا في مصر والشرق، ويعزو ذلك الى غيبة المرأة عن المجتمع، وهو في ذلك يقول: «كرهنا الدور لاحتجاب المرأة، وهجرنا الأندية لغياب المرأة، وسئمنا الملاهي لبعد المرأة، وأصبحنا كالسمك في الماء أو الهباء في الهواء، نحيا حياة الهوام والتشرد، فلا نطمئن الى مجلس ولا نستأنس لحديث» ولما أن همس الهامسون لما جاء في هذا المقال، عاد الزيات في العدد التاسع الى بسط رأيه ذاكراً أن «صلة الحجاب بالدين قد فرغ من توهينها العلماء من أمد طويل» وأن مجتمعنا لغياب المرأة «أعرج لأنه يمشي على رجل واحدة، أشل لأنه يعمل بيد واحدة، بليد لأن حدة العواطف تنقصه، خشن لأن لطافة الأنوثة تعوزه» فهل بعد هذا تعتبر «الرسالة» نصيرة الحجاب..؟ إنك تريد أن تنتزع العطف على قضيتك من كلمات كتبها الرافعي وهي في الحقيقة لا تنفعك، وهو لو علم أن دعوته تصادف هوى في نفوس أمثالك لتحول عنها، وكان أول من ينادي بالسفور

* * *

لم يحرك شفتيه بكلمة، وكان جوابه ناطقاً في عينين ساهمتين، ورأس يهتز باستخفاف، فتركته ينصرف وبه ما به من جمود، وأويت الى فراشي، وبي عجب من نفس لو حادثتها حتى تشرق الشمس مرة ثم مرة فما هي بنازلة عما هي فيه من غروب وأفول!؟

اسكندرية — جورج دغرب

بين فن التاريخ وفن الحرب

٦ - خالد بن الوليـــد *

فى حروب الردة

للفريق طـه باشا الهاشمى

رئيس أركان الجيش العراقى

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

نسبة القبائل: من المفيد أن نذكر نسبة القبائل وقرابة بعضها لبعض . أكثر القبائل التى ارتدت عدنانية تنتسب الى مضر ، ماعدا قبيلة بنى حنيفة فهى من ربيعة

والقبائل العـدنانية تنسب الى شعبين كبيرين ، وهما : مضر وربيعة

وشعب مضر ينقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية فالقسم الأول : قيس ، ومنها غطفان وهوازن وسليم ، وإلى غطفان تنسب فزارة وعبس وذبيان ، والى هوازن تنسب ثقيف

والقسم الثانى قبيلة طابخـة ، واليها ينتسب بنو تميم ، والقسم الثالث مدركة ، واليها ينتسب بنو أسد ، ومنها كنانة ، واليها تنتسب قريش

أما شعب ربيعة فاشتهرت منه القبائل الآتية :

عنترة وعبـد قيس وبكر وتغلب وبنو حنيفة وينتسبون الى بكر بن وائل

الموقف قبل الحركات :

التقت فلول غطفان بن فزارة وعبس وذبيان بطليحة بعد انهزامها فى ذى القصة والربذة ، واجتمعت مع بنى أسـد فى بزاخة . وقد مال اليهم فرقتان من طىء وهما جديلة وغوث على ماذكرناه سابقاً ، ولم تترك هاتان الفرقتان حيهما ، بل اجتمعتا فى أكناف جبل سلمى ، أعني بالقرب من موقع طابه فى الجنوب الغربى من فيد

أما الباقى من بنى طىء فظل على الحياد بسعى عدى بن حاتم . وأما قبائل بنى عامر بن صعصعة وهى فى الشمال الشرقى من جبل شمر — فكانت تراقب مجرى القتال ، وتنتظر عاقبة المعركة لترى رأيها بعد ذلك

أما بنو تميم فلم يوحدوا كلمتهم ، بل كانوا منقسمين على بعضهم . وبينما كانت القبائل المرتدة على هذا النحو من تفرق الشمل واختـلاف المقصد ، كان خالد بن الوليد على رأس جيش متجانس صقلته الغزوات والحروب وحنكته التجارب ، متأهباً للحركة عند أول أمر يصدره قائده

وكان هذا الجيش قليل العدد ، غير أن كفاية قائده ضمنت له الفوز . وكلما أحرز فوزاً ازدادت قوته بانضمام المحايدين اليه ، لأن الغلبة كانت تأتى لهم ، وقد تم ذلك فعلاً . ويزعم بعض المؤرخين أن قوة جيش خالد كانت تبلغ ثلاثة آلاف مقاتل حين تقدم نحو طليحة . فلما تقدم نحو مسيلمة أصبحت عشرين ألفاً

الحركات :

يقول ابن حبيش نقلاً عن الواقدى أن جيش خالد بدأ بالحركات من ذى القصة فى اليوم السابع والعشرين من الشهر ، وهذا الشهر إما جمادى الآخرة وإما رجب . لأن الرسول توفى فى شهر ربيع الأول ، وأن جيش أسـامة قضى فى حملته شهرين ، وأجل حركته فى الجرف مدة من الزمن ، والمعلوم أن معظم قوة أسامة ألفت جيش خالد ، فتكون المدة التى انقضت من وفاة الرسول الى حين حركة خالد من ذى القصة ثلاثة أشهر على أقل تقدير

فزمن الحركة إما أن يقع فى منتصف شهر سبتمبر ، وإما فى منتصف شهر اكتوبر من سنة ٦٣٢ ب . م

واستعرض أبو بكر جيش المسلمين فى ذى القصة وخطب فى رجاله وأبان لهم الطريقة المثلى التى يجب أن يسـيروا عليها ، ولفت نظر خالد الى خطورة الاستطلاع ، وأخذ الحيطة عنـد الهجوم على أهل اليمامة ، وأن يجرى الحركات على التعاقب ، فلا يبدأ بحركة مالم يظفر بالتى سبقتها ، وأن يستعمل الرمح فى

(*) وهو بحث فنى قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل . « الرسالة »

مكافحة الرمح ، والسيف في مكافحة السيف ، ثم طلب منه مراعاة المهاجرين والأنصار والرفق بمن معه

وكانت قوة الجيش تتفاوت بين أربعة آلاف وخمسة آلاف ، وكان عدد الأنصار منه يربى على الخمسمائة . وكانت قوة جيش طليحة فى بزاخة تزيد على خمسة آلاف ؛ ومعظمها من بنى أسد والباقى من غطفان ، وكان عيينة بن حصن على رأس هذا الباقى .

وكانت فرقتا جديلة وغوث من طىء فى أكناف جبل سلمى متأهبتين للالتحاق بطليحة فى بزاخة ، وتبلغ قوتهما زهاء ألف مقاتل . وكان بنو تميم على ما نعلم مشغولاً بعضهم ببعض ، فمنهم من التحق بسجاح ومنهم من خالفها . أما بنو حنيفة فكانوا فى ديارهم باليمامة معتصمين بجبالهم ، ومعتزين بنبيهم مسيلمة يراقبون الحوادث فى نجد

خطة خالد بن الوليد

إن الطريق الأقصر الذى ينتهى بجيش المسلمين الى بزاخة هو الطريق الذى يخترق وادى الرمة . وبزاخة واقعة فى المنطقة حيث تكون أحياء طىء وأسد قد قرب بعضها من بعض . فكل حركة من ذى القصة على هذا الطريق الأقصر تشجع قبائل طىء على الالتحاق بطليحة فى بزاخة . ومن عادة القبائل أنه إذا لم يهدد الخطر حيها توا تتركه وتسرع الى نجدة الأحياء الأخرى متى أغار عليها الأعداء

كذلك درس خالد الموقف وقرر أن يسلك طريقاً يهدد به بلاد طىء ، فاما أن يلجأ أهلها الى الحياد وإما أن يستميلهم الى جانبه ، وإذا ما تقدم رأساً نحو بزاخة يكون قد ترك بلاد طىء الى جانبه الأيمن وخاطر بالهجوم على بزاخة ؛ أما إذا ضمن حياد طىء أو استمالهم الى جانبه فيكون قد هيأ أسباب الفوز على طليحة

والأخبار تدل على أن خالداً صارح أبا بكر بخطته هذه فى ذى القصة فأقرها أبو بكر ، وسبق أن قال لخالد : « اعلم أنك إذا قاتلت أسداً وغطفان فان رجالا منهم معك ينتظرون النصر ، وإذا ما رأوه حليفك كانوا معك على عدوك »

ولكى يجعل العدو يقنع بأن المسلمين قاصدون بلاد طىء قبل بزاخة ، يقول ابن الكلبى إن أبا بكر أمر خالداً أن يصمد لطليحة وعيينة بن حصن وهما على بزاخة ، ولظهر أنه ملاق خالداً بمن معه من نحو خيبر مكيدة ، وقد أرعب مع خالد الناس ، ولكنه أراد أن يبلغ ذلك العدو فيرعبه ثم رجع أبو بكر الى المدينة

ثم هناك خبر آخر مفاده أن أبا بكر أمر خالداً أن يبدأ بطىء على الأكناف ، ثم يكون وجهه الى بزاخة ثم يثلث بالبطاح (بني تميم) وأظهر أنه خارج الى خيبر منصب عليه منها حتى يلاقى خالداً بالأكناف ، أكناف سلمى ، فخرج خالد فازور عن بزاخة وجنح الى أجأ وأظهر أنه خارج الى خيبر ثم منصب على طىء

فهذه الأخبار تريك الخطة بوضوح . إن بلاد طىء جبلية ، وفيها سلسلتان وعرتان ممتدتان على موازاة خط الحركات بين المدينة وبلاد بنى أسد ، وسلسلة سلمى وجبل رمان فى الجنوب ، وسلسلة أجأ فى الشمال . والأكناف الواردة فى الجنوب المذكورة هى أكناف هذه الجبال . أما أهل البلاد فمنهم من تأهب لمعونة طليحة ومنهم من بقى فى أرضه يتربص ، وكان أعظم رئيس فى القسم الأخير عدى بن حاتم مع قبائل طىء ، ومن الأخبار ما يؤيد أن أبا بكر بعث عدياً الى طىء قبل حركة خالد ليدركهم

والواضح أن خالداً بخطته هذه أراد أن يسهل خطة عدى بن حاتم ، وأن إشاعة أبى بكر فى الجيش مسيره نحو خيبر يقصد الحركة نحو بلاد طىء ، مما يجعل القسم المتحفز لمعونة طليحة من طىء يرجع الى أرضه للدفاع عنها أو للبقاء على الحياد مع الباقين من طىء

والحقيقة أنها خطة ناجحة تدل على بعد نظر خالد فى قيادة الجيش . والخطة تجمع بين الناحية السياسية والناحية العسكرية . وكان عيينة بن حصن الفزارى رئيس بنى فزارة كما سبق يسعى لاعادة الحلف الجاهلى بين بنى أسد وبنى غطفان وطىء محرضاً جماعته على ذلك بقوله « والله لئن نتبع نبياً من الحلفين أحب الينا من أن نتبع نبياً من قريش »

وإذا ما تم هذا الحلف يكون أمام المسلمين قوة كبيرة يصعب التغلب عليها . وينحصر التدبير السياسى فى إيفاد أحد رؤساء طىء البارزين لاقناع القبائل بأن يتركوا جانب طليحة ويميلوا الى جانب المسلمين ، ولتسهيل هذه المهمة والقيام بحركة إغفال بالتظاهر بالهجوم على بلاد طىء

وكان التدبير العسكرى يرمى الى فصل طىء عن بنى أسد

وغطفان ، والهجوم بعد ذلك على قواتهم فى بزاخة

فتناولت الخطة اذن الأمور التالية : —

١ — القيام بحركة إغفال من المدينة فى اتجاه خيبر بقصد اقناع طيء أن المسلمين متوجهون نحو بلادهم

٢ — تقدم جيش خالد على الطريق الأقصر نحو بزاخة لتظل قوات طليحة فى محلها حتى لا تساعد طيئا

٣ — ترك هدف بزاخة فى منتصف الطريق والانعطاف نحو بلاد طيء لأرغام قبائل طيء على الالتحاق بالمسلمين قبل أن ينجدها طليحة

٤ — بعد الوثوق من التجاء (دخالة) طيء ، والاستفادة من قواتهم ، التقدم بجميع القوات نحو بزاخة لضرب جيش طليحة

الحركات :

وبعد عودة أبى بكر الى المدينة وإشاعة خبر مسيره من المدينة بالباقى من المسلمين نحو خيبر نظم خالد قواته وجعل على كل قسم منها قائداً ، وكان ثابت ابن قيس على الأنصار

وتحرك خالد من ذى القصة فى منتصف شهر أيلول « سبتمبر » أو شهر تشرين الأول « اكتوبر » سنة ٦٣٢ ماراً بربذة ووادى الركبة ، ومنحدراً الى وادى الرمة ، وقبل أن يصل الى منتصف الطريق مال الى اليسار يريد بلاد طيء ، ولقد نجحت حركة الاغفال التى أشاعها أبو بكر لأن طيئاً التى كانت تستهزيء بالخليفة وتكنيه بأبى الفصيل صارت تخشى بأسه لما سمعت خبر تقدم جيشه نحوها ، فأقنع عدى بن حاتم قبيلته وحذرها سوء العاقبة قائلاً لبنى قومه : « لقد أتاكم قوم ليبيحن حريمكم » . فطلبوا منه أن يؤخر تقدم جيش خالد حتى يسترجعوا من لحق بطليحة فى بزاخة ، وهم جديلة وغوث وآخرون

وكانوا يعلمون أنهم إذا خالفوا طليحة بينما بنو جديلة وبنو غوث فى بزاخة يبقيهم عنده رهائن ويجبر طيئاً على الالتحاق به ، وكانت حجتهم عند طليحة طلب إخوانهم من بزاخة ، لأن خالداً قادم نحوهم فهم يريدون أن يستنجدوا بهم للدفاع عن بلادهم قبل أن يصل جيش المسلمين

وخرج عدى الى خالد ولاقاه فى السح ، فطلب منه أن يبقى فيها مدة قصيرة حتى يتخلى من فى بزاخة عن طليحة ويعود الى بلاده ، فوقف خالد فى السح ، فتفرقت غوث من بزاخة وعادت الى بلادها ، فأراد خالد أن يتقدم الى الأنسر ليلجىء جديلة الى ترك طليحة أيضاً ، بيد أن عدياً طلب منه أن يتريث حتى لا يفسد عليه ما دبره . فعادت جديلة أيضاً الى بلادها . وهكذا تم لخالد ما أراده ، فانفصلت طيء تماماً عن المرتدين وجددت إسلامها وأمدت خالداً بألف مقاتل

وهكذا طبق القسم الأول من الخطة

يتبع

طه الهاشمى

من أدب الحزن

وفِيّ... وناكر

بقلم يوسف جوهر عطية

... وإذ أرسلت روحى فى الماضى ذكرتك يارفيق ، وكانت قد أذهلتنى عنك الحياة وقسوتها ، والأيام واضطهادها ، وعاد بى الفكر إلى تلك الأشبار من صحراء « الأقصر » حيث استقرت عظامك من خمس سنين . . .

ما أكفرنى بحق الصداقة يا صاحبى ! ما أغلظ هذا القلب اللحمى وما أقساه ! كيف نسيت حبا وثقناه ، وعهداً قطعناه ! كنا نسير فى الحياة كلٌّ يده فى يد صاحبه ، وكل صورته فى قلب رفيقه مرسومة . فلما فارقت الحياة أنكرت يدى الودّ القديم ، وران على قلبى صدأ النسيان ، وابتلع ظلام نفسى ذكراك . . بعد أن كان مكانك عرش القلب ، وبعد أن كانت ملكك كل النفس ، وبعد أن كنت ملجأ روحى القلقة ، وملاذ فكرى المكدود . .

سامحنى يارفيق فاننى إنسان ، والانسان قد جبل على الغدر وفطر على النكران . . لتكن إنسانيتى عذرى لديك . ولا تقس الوفاء بمقياس أهل السماء ، فاننى بعد سجين فى الجسد ، مأسور الروح ، عبد لنواميس الحياة . كن كما كنت كريماً ، متجاوزاً ، رفيقاً . .

أنت أنت الوفى ، وأنا أنا الناكر . .

وهيا يارفيق نعود فنصل الحديث ، ونمحو الجفاء ، فاننى لحديثك مشتاق ، ولسمرك ظمآن . .

كنا لانصبر على الفراق ساعات ياصاحبى . لكن ها هى ذى عجلة الزمن تدور دورتها الطاحنة ، وتباعد خمس سنين بينى وبينك ، ولا أعود أرى وجهك بعد أن استوطنت أنت السماء وظللت أنا مغترباً فى الدنيا . لقد استرحت فى قبرك ، وخلفتنى أعيش وحدى فى هذا القبر الكبير !

لماذا عجلت ذهابك يارفيق ! . كنا قد تعاهدنا أن نقتسم معا شقوة الدنيا ، وأن نستقبل متكاتفين قسوة الحياة ، وأن يتق كل بأخيه غدر القدر ! . لماذا مللت وتركت صاحبك يهيم وحده ! ! أأعياك حمل رداء الهموم وأنت فى سن الفتوة وعمر العزيمة ، فآثرت الفرار من هذه الدار ؟ ! . . .

لكن لا ياصاحبى . . سامحنى . إنى لعارف أنك لست من الذين يجبنون ويفرون ، وأن الله هو الذى اختارك واصطفاك . .

هو الحزن القديم النائم تحت رماد الأيام تهب عليه ذكراك فتستيقظ جمراته ، وتكوى قلبى من جديد ، فيضل تفكيرى ويطيش منطقى ، وأتهمك بما أنت منه برئ ! .

كيف حالك يا صاحبى ؟ ! . .

أكبرت أم أنت فتى كما كنت ! ؟ . هل بقيت لك بسمتك وبهاء طلعتك ، أم شاخت بسمتك وشحب محياك ؟ ! أم أن صور الأرض غير صور السماء ، وأنك هناك دائم الفتوة ، متجدد الشباب ، مسترسل السرور فى كنف الله ؟ ! .

كيف حالك ؟ !

أين أنت الآن ؟ أين تقيم روحك ؟ هل أنت معذب أم منعم ؟ قلق أم مطمئن ؟ هل روحك فى سلام ؟ .

رجائى قوى أنك فى سلام . . فقد كنت باراً . وقضّيت أيامك كالزهرة النقية تلثمها فى النهار أشعة الشمس ، وتباركها فى الليل أنوار النجوم . . كنت جم الفضائل . عشت وديعاً كطير الأفنان . كنت مصباح البيت فى الهدى ، ونبراس الخلق الكريم

إنى مطمئن عليك يارفيق ، وعارف بحظوتك عند الله ، وبمقامك فى جوار الملائكة . . يهنيك نصيبك . يهنيك انك تخلصت من الدنيا قبل أن تدرك نفسك المطامع ، وتلوثها الشهوات ، وتشوهها أمراض الأغراض ، وتدفعها قوى الشر فى مزالق الخطيئة . لقد نجوت ، وخلفتنى وحيداً فى الحياة ، فى سوق النفاق ، أكابد الخسائر وأتجر بقواى ، وأنفق من فضائلى ، وأقامر بأيامى ، وأصارع حظى الشقى . .

يا صاحبى . . لقد كلت قدمى . تعبت ، هرمت روحى وأنا فى شرخ الشباب . . وها هى ذى آلامى ترهقنى فأفرّ إلى الماضى ، وأذكرك . . وهأنذا ألجأ إلى حنانك كما كنت أفعل وأنت فى الحياة . . هيا نجدد العهد ، ونسعى إلى اللقيا فى عالم الوهم ؛ حتى تجمعنا الحقيقة فى الخلود ، فنعود إلى العزف على قيثارة حبنا القديم ، ونسترد ألحاننا الضائعة . . .

يوسف جوهر عطية

في الأدب الدرامي

١٢ – الرواية المسرحية

في التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

المأساة العصرية أو الدرامة

(Le drame)

كانت كلمة الدرام تطلق على جميع الأنواع التمثيلية ، حتى خصصها المحدثون بنوع جديد عرفه قاموس المجمع العلمي الفرنسي بأنه (قطعة مسرحية نثرية أو نظمية تخلط المأساة بالملهاة ، وتبرز الموضوع الجدي في المعرض الفكه ، وتقبل كل نمط من الأشخاص والأخلاق واللهجات) . وتكميلاً لهذا التعريف نضيف إليه كلمة قالها « هجل » وهي : (إنها نوع وسط غير مستقر ، يُعنى بدقائق الحياة الداخلية ومشاكلها ، وصور الحياة الخارجية ومناظرها ، وتتميز من المأساة الاتباعية (Classique) البسيطة الساذجة بكثرة أشخاصها ، وغرابة حوادثها ، وتعدد مفاجآتها ، وتعقيد العمل فيها الى حد الارتباك والغموض) . أما أرباب المذهب الأبتداعي (Romantique) ومن قبلهم شكسبير فلم يكتفوا بتأليفها وتمثيلها ، وإنما وضعوا لها القواعد ، وشرعوا لها المناهج ، وقالوا إن الدرامة صورة صادقة مؤثرة للحقيقة ، بل هي الحياة نفسها : هي الهوى يعمل ويتكلم ويحكم ويفكر بصوت جهير أمام الجمهور السامع

إن المأساة لم ترد أن تتنزل عن أفق الأبطال والسراة والملوك ، والملهاة قصرت نفسها على وصف عيوب الأوساط ، أما الدرامة فهي أتم وأعم وأصح ، لم تفضل فريقاً على فريق ، ولم تؤثر طبقة على طبقة ، فهي تسوى بين الملوك والسوقة ، وتمزج البسمات بالعبرات ، وتستمد التاريخ والقصص والحكايات والخرافات ، لا تستثنى شيئاً ولا تحتقر شخصاً ، ولا تحصر نفسها في ضيق القواعد والتقاليد ، فموضوعها الانسانية بأسرها . أما اليوم فقد اختلفت على هذا النوع الأسماء والتعاريف لتشعب مناحيه ، وتعدد مذاهبه ، واتساع مجاله ، واختلاف أطواره . فكان يسمى أولاً : الرواية الجدية الهزلية (Tragi-comique) ثم المأساة الحضرية (Tragédie bourgeoise) ثم المأســاة الشعبية (Tragédie populaire) ثم الملهاة الجدية (Comédie serieuse) ، وهم يطلقون عليها الآن اسم الدرامة الحديثة ، أو الدرامة فقط . ولا نجد أبلغ في الكشف عن حقيقة الدرامة مما كتبه عنها زعيمها وابن بَجْدَتها فكتور هوجو في مقدمة (كرومويل) نستعين بتلخيصه لك على شرح هذا النوع الطريف الذي يعدونه الآن أفضل الأنواع وأكمل الأشكال للتمثيل فوق المسرح الحديث ؛ لأنه باختياره الأشخاص من كل الطبقات ، وتفضيله التأثير في الحواس على تحليل الشهوات ، كان أكثر أنواع المأساة ملاءمة للذوق الديمقراطي الغالب اليوم . قال هوجو ما محصله : النظارة أصناف ثلاثة : النساء والخاصة والعامة ؛ فالعامة يطلبون من الرواية العمل أو الحادث ، والخاصة يطلبون منها الخُلق أو الدرس ، والنساء يطلبن منها الشهوة والهوى . لأن العوام يبتغون من المسرح التهيُّج ، والخواص يبتغون منه التفكر ، والنساء يبتغين منه التأثر ؛ وغرض هؤلاء جميعاً اللذة : فالعامة تريد لذة النظر ، والخاصة تريد لذة العقل ، والمرأة تريد لذة القلب . ولكلٍّ منهم الحق فيما يبتغي ويريد . ومن ثم كانت روايات هوجو ثلاثة أنواع مختلفة : أحدها عامى سوقى ، والآخران شريفان رفيعان ، وفي ثلاثتها حاجة المسرح وكفاية الناس . فللعوام المأساة العامية (الميلودرام) التي تصف لهم الفظائع ، وللخواص الملهاة التي تصور لهم الأخلاق ، وللنساء المأساة التي تحلل لهن الأهواء . وربما تدخَّل بعض هذه الأنواع في بعض ، فقد يوجد في السوقة من يتذوق الجمال ويتطلب الكمال ويغرق في التخيل ، وفي السراة من يطلب غير الأدب لطف الشعور ، وفي النساء من تبتغى مع التأثر رياضة الذهن . فغرض الدرامة إذن هو تصوير الأخلاق بخلق الأشخاص وتمثيلهم على المسرح تبعاً لشروط مستمدة من الأدب والطبيعة ، وبث الأهواء والنوازع في هؤلاء الأشخاص لبيان أخلاقهم وتوضيحها ، واستخراج الحياة الانسانية من هذه الأخلاق والأهواء التي تتصادم وتتلاحم ، فتنتج الوقائع الكبيرة والصغيرة ، والحوادث المحزنة والمضحكة ،

التى تنطوى على لذة للقلب يسميها الناس منفعة ، وعلى عظة للعقل يسميها الحكماء حسن خلق . فبان من ذلك أن الدرامة تأخذ من المأساة تحليل الأهواء والشهوات ، ومن الملهاة تصوير الأخلاق والعادات . فهى الشكل الثالث من أشكال الصناعة الأدبية ، وهو أكبرها وأعمها ، لأنه يشمل الشكلين الأولين فيمزجهما ويشرحهما . ولولم يوجد شكسبير بين كورنيى وموليير فمد يسراه الى الأول ويمناه الى الثانى ، لبقى كل منهما بعيداً عن الآخر ؛ فبوجوده التقت الملهاة بالمأساة التقاء الموجب بالسالب فى الكهرباء ، فحدث من التقائهما شرارة هى الدرامة

ثم مضى هوجو بعد ذلك فى بيان حقيقة الدرامة من جهة الفلسفة التاريخية نحيلك عليه إذا شئت ، ونكتفى نحن هنا بما أجملناه من كلامه

فالدرامة إذن تقبل كل نوع ، وترتضى كل شكل ، ما دامت تضمن التأثير فى المشاعر والخواطر والقلوب ، وهى تسلك لهذه الغاية أسهل الطرق وأقرب السبل . فلها فى الطفولة المعذبة ، والشيخوخة العاجزة ، والزمانة المعدمة ، والنكرم فى الأملاق ، والقحط واليأس ، مواقف قوية التأثير شديدة الروعة ؛ وفى المستشفيات والسجون والأحياء الفقيرة العاملة مسارح للرعب والرحمة ، لها من البيان والتأثير ما يغنى المؤلف الذى يعرضها للأنظار والأفكار عن تكلف الأداء وتجشم البلاغة

إن المصائب المنزلية ، والحوادث الاجتماعية ، لا تدهشنا حقيقة كما تدهشنا مصائب الملوك ومخاطر الأبطال وحوادث القصور ، ولكنها تؤثر فينا كل التأثير لاتصالها بنا واقترابها منا ؛ وإذا كان أفضل الانواع أمتعها للجمهور ، وأشدها أثراً فى الكثرة ، فان الدرامة تفوق المأساة بهذه المزية ، وتفضل الأنواع جميعاً بقوة الجاذبية . وإذن يكون كورنيى وراسين وڤولتير قد جهلوا فن التأثير ، وسهروا الليالى الطوال فى البحث عنه فى الطبقات العليا ، والحوادث الكبرى ، وهو منهم على طرف الثمام لو نظروا فى الطبقة الدنيا وفكروا فى الحياة العامة . ولو كان هؤلاء حقيقة قد جهلوا قوة الدرامة وسهولتها فما بال الأغريق واللاتين لم يتوسلوا بهذه الوسائل القريبة إلى التأثير والجاذبية ؟ وما بال شكسبير وهو إمام الروائيين غير مدافع لم يختر موضوعاته من حياة الشعب ، وفضل جرائم الملوك ونكباتهم على جرائم السوقة ونكبات العامة ؟ الحق أن الأغريق كانوا يعلمون علم اليقين أن فى الناس من كبابه الجد فألقاه فى مراغة الذل والبؤس ، فأعسر بعد اليسر ، وهان بعد العز ، ولكنهم كانوا يجهلون أو ينسون أن الملوك هم أيضاً غرض لسهام القدر ، وأن المرء مهما عظم قدره لا يعظم على النوائب ولا يكبر على الاحداث ، وأن خطوب الدهر لا تخص بفتكها طبقة دون طبقة ، فاستفادوا من المسرح هذا الدرس النافع والعظة البالغة . كذلك كانوا يعلمون أن فى الناس المأفون والشهوان والخبيث والمجرم ، ولكنهم كانوا يجهلون أن الملوك أيضاً فيهم الأفن والشهوة والخبث والأجرام ، وأن نتائجها فيهم أفظع وأفجع منها فى السوقة ، فاستنتجوا من المسرح أن الشعب مأخوذ بجرائر الملوك ، فأخذوهم بالحزم وحسن السياسة ، بَلْهَ ما كان عليه الناس فى الأزمان الخالية من تنزيه الملكية ، وتقديس البطولة ، وازدراء الشعب . فلما ابتذلت أفنية الملوك ، وعلت كلمة الشعوب ، وغلب نظام الديمقراطية ، احتقر الناس مصائب الخاصة ، ورأوا أن الاهواء والأرزاء تنصب فخاخها لكل الناس ، وأن الواقع فيها من أى طبقة ومن أى بيئة يصح أن يكون عبرة ونكالاً لغيره . حينئذ أخذ الكتاب يدرسون العامة ، ويعلمون الجمهور بتحليل نفسه وتعليل جرمه ، ويثقفون خلقه بتصوير نقصه ووصف عيبه ، فيحاربون العيب بالخوف من السخر والخشية من الخجل ، والجريمة بالفزع من وخز الضمير الذى يصحبها والقصاص الذى يعقبها ، والهوى بوصف ما يجره من الآلام والمخاطر والمصائب ، ووجدوا الحال تقتضى نوعاً جديداً من الرواية يلائم حال الاجتماع ونظام الحكومة ورقى الفكر ، فكانت الدرامة وليدة هذا الانقلاب وسداد هذا العوز

على أن التأثير والجاذبية لم يكونا يوماً ما من أغراض المسرح فى الأمم المثقفة المستنيرة ، وإنما كان التمثيل عندهم كالخطابة ، يجذب ليهذب ويعلم ، ويؤثر ليقرر ويفهم . وما التأثير إلا وسيلة من وسائله لا غاية من غاياته . فالدرامة التى لا تعلم ولا تهذب تكون من المأساة بمثابة المهزلة من الملهاة . ولا شك أن المهزلة (Farce) تضحك الجمهور أكثر مما تضحكه ترتوف والمستوحش ، والدرامة التى من هذا النوع تبكيه أكثر مما تبكيه (سنَّا) و (أتالى) ، ولكنه اذا ظل مائة سنة يضحك ويبكى لهذه المناظر ، فأية فائدة يستفيدها ، وأية فكرة يكتسبها ويستزيدها ؟

فالدرامة القوية هي ما وضعت في قلب الرجل علل حوادثه وبواعث عمله ، فتجعله شقياً بزلته ، مشفياً على الخطر بغفلته ؛ وهي لذلك تطلب مؤلفاً يكون ثاقب الفكر صادق النظر قوي الملاحظة خصب المخيلة عميق الاحساس بليغ الأسلوب جيد الاختيار ؛ وموضوعاً يجمع بين التأثير والافادة وبين الابتذال والصيانة وبين الغرابة والسذاجة ، فلا يكون عقيماً ولاسقيماً ولا سوقياً ولا شعرياً ولا متكلفاً ؛ وعملاً يكون سيره نشيط الحركة موزون التدرج محكم التعقيد بارع الحل ؛ وعادات حضرية أو شعبية تكون مع موافقتها للحق غير ساقطة ولا جافية ؛ ولهجة بسيطة تلائم الأشياء والأشخاص ، فتكون صحيحة سهلة نقية ذكية شاعرة لاتعلو على الموضوع ، ولا تسفل إلى درك التعمل والركاكة . وتلك مطالب أعيت أولى القرائح الكليلة ، فانصرفوا إلى الجانب الأسهل منها ، وأخذوا يلتمسون التأثير في الجمهور بعرض الحوادث المنتزعة من الحياة العامة لتغنيهم بفظاعتها عن إجادة الكتابة وإجالة الفكر ، ويبنون هذا الرأي السخيف على قاعدتين خاطئتين : أولاهما أن كل جذاب من القول والفعل صالح للمسرح ، وأخراهما أن كل ما أشبه الطبيعة جميل ، وكل تقليد صادق لها حسن . لا أنكر أن لا شيء يلوع القلب ويمزق الحشا مثل أن ترى بيتاً متهدماً تسكنه امرأة كريمة عدا عليها الفقر ومسها الضر وجاز بها الدهر حد اليأس والفاقة ؛ وأنا زعيم لك بأنك تغرق الناس بالدمع ، وتضرم الأنفاس بالحزن ، إذا عرضت على العيون منظر هؤلاء الأطفال يتضاغون من الجوع ويطلبون الى أبيهم المسكين كسرة من الخبز وهو لا يستطيع ، ومثلت دموع تلك الأم ترى رضيعها يلفظ أنفاسه في حجرها من السغب وهي لا تملك له حياة ولا نفعاً ، ولكن أرني ذلك الشعب الغليظ الكبد الذي يلهيه ويسليه مثل هذه المناظر ؟ وأية فائدة تجدها في هذا المصاب الأليم العقيم الذي فجع هذه الأسرة وهي لم ترتكب خطأ ولم تقترف إثماً ؟ آلمني ، ولكن لتعلمني كيف أحتاط لنفسي من الوقوع في مثل هذا الضرر الذي أشهده . مثل لي أسرة بائسة أوقعها بين مخالب البؤس والفاقة عيب أصيل في نفسها ، وهوى دخيل في قلبها ، فان الألم الذي ينالني من رؤية هذا المنظر يعوضني منه ذلك الدرس الذي أستفيده من شهود ما يجره الهوى المتحكم والعيب المتأصل من الأذى والمضرة : أستفيد أن الانسان حر في اتقاء مثل هذا المصاب ، وأن أسبابه من العيب والهوى والغفلة والضعف لم تكن أدواء لازمة ولا محتومة . أما الحرق والغرق والزلزال والوباء وكل ما يصيب المرء من غير كسبه ولا اختياره فلا أستفيد من رؤيته غير الألم المقيم والهم الخالص

إن فضل الكاتب وجمال المسرح هما في عرضهما ما نود أن نكونه لا ما نحب أن نتأثر به . ومهما يكن الشيء العامي المبتذل مؤثراً ، فلا بد أن يكون على المسرح أسمى وأروع مما أستطيع أن أراه وأسمعه من شباك بيتي ، فان بين الأشياء المؤثرة كذلك تفاوتاً وتفاضلاً وتخيراً . وليس في الحياة موضوع يصح أن يكون روائياً بنفسه اذا قلدته على علاته ونقلته بجميع صفاته ؛ فقد تجد فيه من الطول والفضول والنقص والخف ما يخجلك إذا حكيته ، ويأفنك إذا مثلته . إن مهارة الكاتب القصصي في أن يجعل الموضوع طريفاً لذيذاً ، ومهارة الكاتب الروائي في أن يبسطه ويزخرفه ، فيحذف منه البارد الغث ، ويضيف اليه ما يزيد في تأثيره وحدته وجدته وطرافته ، بحيث يكون شبه الحقيقة وهيئتها لاصورتها ولا نسختها . والحال في الأعمال مثل الحال في الأقوال : فان الكاتب الذي يكتب كما يتكلم ليس بكاتب . إذ كل لغة من لغات الناس فيها الشريف الحر والرقيق الأنيق ، كما أن فيها السوقي والحوشي والفج . والذوق وحده هو الذي يصفي العبارة من اللغو ، وينقي الأسلوب من الغثاثة ، كما يعزل الغربال الزوان والحصا من الحب الصحيح . ذلك ما نعقله ونقبله ؛ أما نقل ما ترى وحكاية ما تسمع بما فيه من سماجة وفضول واقتضاب ، على أنه صورة الطبيعة ورسم الحقيقة ، فتلك حجة يلجأ اليها الأدعياء ليدرأوا عن أنفسهم معرة الضعف في الاختيار والعي عن الابتكار والعجز عن التجديد والتوليد

بعد ما تقدم نستطيع أن نجمل القول في المأساة العصرية بذكر الفروق بينها وبين المأساة القديمة فنقول : إن الدرامة تجمع بين الجد والهزل والسرور والحزن والاحتشام والتبسط والضعة والرفعة ، وتختار أشخاصها من كل طبقة وبيئة ، وتقتبس موضوعها من حياة العامة أو العصور الوسيطة أو العصر الحديث . أما المأساة فكما علمت تزدري الموضوعات القومية والعصرية ، وتختار موضوعاتها من الأساطير أو من التاريخ القديم ، وتعني على

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

فقيد الأدب التونسي

أبو القاسم الشابي

ولد سنة ١٩٠٩ وتوفى سنة ١٩٣٤



أبو القاسم الشابي

ثكلت تونس ، بل الأدب العربي عامة ، أديباً عبقرياً فذاً ، كان منتظراً منه — لو امتدت حياته — أن يكون كوكباً لامعاً في سماء الأدب العربي الجديد ، بل دعامة قوية ترتكز عليها المدرسة الحديثة للشعر العصري . ذلك هو الشاعر المبكي على شبابه أبو القاسم الشابي

ولد أبو القاسم الشابي عام ١٩٠٩ في مدينة « توزر » عاصمة الواحات التونسية الجميلة بالجنوب ، من أسرة ذات مجد ، وكان أبوه الشيخ محمد بن أبي القاسم الشابي قاضياً شرعيا ، تنقل بوظيفته في مدن مختلفة . وهو من قبيلة كبيرة ذات تاريخ حافل تدعى الشابية

أما حياة الشاعر الفقيد فليس فيها من الحوادث ما يهم كثيراً لقصرها ، فلم يتخطّ فجر شبابه الغض ، ولم يطو الخمسة والعشرين عاماً بعد ؛ إلا أن هذه الفترة الصغيرة في تاريخ نموه الفكري ذات خطر عظيم ، ذلك أن المذهب الذي ذهب اليه في نظم أشعاره مذهب فذ لم يظهر منه في الشعر العربي إلا النادر

وليس في مراحل تعلمه التي قطعها بغاية الفوز والنجاح شيء غير عادي ، فهو كأمثاله الكثيرين قد حفظ القرآن في طفولته ، والتحق بجامع الزيتونة يتلقى علوم العربية على الأساليب القديمة من المتن والشرح والحاشية ، وعلوم الشريعة الاسلامية كالفقه والأصول والتوحيد ، الى أن كان الامتحان النهائي فتخطاه عام ١٩٢٦ ونال الشهادة المسماة بالتطويع

والتحق بعد ذلك بمدرسة الحقوق التونسية فاجتاز امتحاناتها وحصل على إجازة الحقوق ، ثم لم يتركه مرض الصدر يتمم دراسته ، فانقطع عن التعلم من ذلك الحين والتفت الى معالجة هذا المرض العضال الذي ظل معه يغاديه ويراوحه حتى ذهب في يوم ٨ أكتوبر بحياته الغضة

لم يدرس أبو القاسم لغة أجنبية ، ولم يكن له من الزمن ما يسع طول الدرس ومطالعة المترجمات ، فقد كان أطباؤه ينهونه عن كد ذهنه والاشتغال بالأعمال الفكرية ، وتلك لعمري آية عبقريته النادرة ، ومعجزة نبوغه الفريد

كان جباراً متمرداً على القديم ، وكان في الوقت ذاته رقيق الاحساس مشبوب العاطفة ، لا يستمرئ النازعات والمشاكسات ، فكان من جراء ذلك تفاعل بينه وبين بيئته تلمح آثاره واضحة في أشعاره

فقد كانت مطالعاته الأولى في الأدب العربي بالمهجر الأمريكي ، فاستأسره أسلوب زعيم تلك المدرسة المرحوم جبران ، وكانت أشعاره الأولى ذات نزعة جبرانية في الأسلوب . وكان يقول الشعر منظوماً ومنثوراً ، ولكنه كان أعمق روحاً وأبعد قراراً . وكانت موضوعاته في فلسفة البؤس والشقاء ، والتبرم بالحياة ومتاعبها

الخصوص بالعالم الداخلي من الانسان ، فتبحث عن أخلاقه وعواطفه وأهوائه ، فهي تضع على المسرح نفوساً بدل أن تضع أشخاصاً ، ولا تعنى مطلقاً بالرياش المسرحي ولا باللون المحلي ، وتقصد كل القصد في تعقيد العمل الروائي ؛ ولكن الدرامة لا تحفل إلا بالعالم الخارجي من المرء ، والجزء المادي من المسرح ، وتبالغ في رعاية الرياش والزخرف ، وترجح التأثير في الحواس على التأثير في الذهن ، وتحرص على أن تظهر الأشخاص في لباس الزمن الذي عاشوا فيه وتَسِمُهم بعادات بنيه ، وتؤثر تعقيد العمل وتحرُّج المواقف على وصف الأهواء وتصوير العواطف . ثم إن المأساة تخضع لقانون الوحدات الثلاث ولا تجيز نجوى النفس . ولذلك خلقت الأنجياء Confidentes ليسارّهم الأشخاص بما يفكرون ؛ ولكن الدرامة تحللت من سلطان الوحدات الثلاث فلم تُبق إلا وحدة العمل ، وأسرفت في إيراد النجوى على ألسنة الأشخاص الأصليين فياضة بالأسلوب الوجداني فقضت بذلك على الأنجياء .

يتبع

الزيات

على أننا إذا قلنا إن أبا القاسم قد تأثر بمدرسة جبران فلا بد لنا أن نتحفظ ، فقد تزود — رحمه الله — من الأدب العربى القديم بثروة طائلة ، مكنته من إخضاع التعابير الفصيحة لمعانيه الجديدة بما يميزه من غيره ، ومما لم يكن من ظواهر تلك المدرسة التى تذهب أحياناً وراء حرية التعبير عن خوالج النفس مذاهب تخرجها عن سنن العربية وقواعدها الأولية

ثم إن شاعرنا كان مفتوناً بالآداب الغربية ، يتهافت على قراءة كبار عباقرة الغرب الذين ترجمت أشعارهم وآدابهم ويدرسها بروية حتى تأثر بها وخالجت روحه ، وربما تعجب قراؤه كثيراً حينما يعلمون أنه لا يقرأ إلا اللغة العربية لجهله بغيرها

ويمكنك أن تدرك سعة اطلاعه على الأدب العربى القديم وإحاطته بجميع ما ترجم الى العربية من نفائس الأدب الغربى ، اذا اطلعت على مؤلفه الذى أخرجه منذ سنوات تحت عنوان « الخيال الشعرى عند العرب » فمن مطالعة هذا الكتاب الذى هو عبارة عن دراسة مستفيضة على طريقة النقد العصرية للأدب العربى فى جميع عصوره ، ومقارنة للأدب الغربى فى كثير من أعلامه تدرك مبلغ تفوقه ونبوغه

قلنا إن أبا القاسم كان ينزع فى أوائل أمره نزعة تشاؤم وتبرم بالحياة ، على أن سخطه هذا لا شىء فيه من الضعف والرخاوة ، فهو يعاتب الدهر وكأنه ند له فى كبرياء وجبروت ينمان عن حب الحياة فى أعماق نفسه ، حتى أنه لم تدم شكواه طويلاً ، فتجلت روح التمرد والقوة فى قصائده الأخيرة التى منها « نشيد الجبار » وقد نشرت فى أحد أعداد « أبولو » ومنها قصيدة «البعث» وستظهر فى ديوانه ، أودعها كل ما فى نفسه من حب للحياة وتطلع الى مثلها العليا فى أسلوب رائع فريد

ولا نستطيع أن ننسى أن للصدمات التى اعترضته أثراً عميقاً فى صهر نبوغه واستقلال فنه ، كما أنه قضى مدة أربعة أشهر فى وحدة شعرية بديعة بين جبال « عين دراهم » وغاباتها ، وهى من أجمل بلاد تونس منظراً وسحراً ، فخرج بشعر طبيعى نادر

رحم الله أبا القاسم الشابى ، وعوض الأدب العربى عنه خيراً

نموذج من شعر الفقيد

اصطدم أبو القاسم الشابى بشعور بيئته الراكدة ، وضايقه المتزمتون الجامدون ، فضاق الشاعر ذرعاً ، وتنفس عن قلبه الحساس بهذه القصيدة الرائعة :

النبىء المجهول

أيها الشعب ، ليتنى كنت حطّا | با ، فأهوى على الجذوع بفأسى!
ليتنى كنت كالسيول إذا سا | لت تهد القبور رمساً برمس . .
ليتنى كنت كالرياح . . فأطوى | كل مايخنق الزهور بنحسى (١)
ليتنى كنت كالشتاء . . أغشى | كل ما أذبل الخريف بقرسى
ليت لى قوة العواصف ياشعـ | ـبى فألقى اليك ثورة نفسى . . .
ليت لى قوة الأعاصير .. لكن | أنت حى يقضى الحياة برمس ..
أنت روح غبية تكره النو | ر وتقضى الدهور فى ليل ملس
أنت لا تدرك الحقائق إن | طافت حواليك ، دون مس وجس

* * *

فى صباح الحياة ضمخت أكوا | بى وأترعتها بخمرة نفسى . .
ثم قدمتها اليك ، فأهرقـ | ـت رحيقى ودست ياشعب كأسى!
فتألمت . . ثم أسكت آلا | مى وكفكفت من شعورى وحسى
ثم نضدت من أزاهير قلبى | باقة لم يمسها أى إنس
ثم قدمتها اليك ، فمزقـ | ـت ورودى ودستها أى دوس
ثم ألبستنى من الحزن ثوباً | وبشوك الصخور توجت رأسى

* * *

. . . ها أنا ذاهب إلى الغاب ياشعـ | ـبى لأقضى الحياة وحدى بيأسى
ها أنا ذاهب إلى الغاب علّى | فى صميم الغابات أدفن نفسى . .
ثم أنساك ما استطعت فما أ | نت بأهل لخمرتى ولكأسى
سوف أتلو على الطيور أنا | شيدى وأفضى لها بأحزان نفسى
فهى تدرى معنى الحياة وتدرى | أن مجد النفوس يقظة حس
ثم أقضى هناك فى ظلمة الليـ | ـل وألقى إلى الوجود بيأسى
ثم تحت الصنوبر الناضر الحلـ | ـو تخط السيول حفرة رمسى
وتظل الطيور تلغو على قبـ | ـرى ويشدو النسيم فوقى بهمس
وتظل الفصول تمشى حوالى | كما كن فى غضارة أمسى . . .

* * *

أيها الشعب أنت طفل صغير | لاعب بالتراب والليل مغسى

(١) النحس الريح الباردة عند إدبارها

أنت فى الكون قوة لم تسمها … فكرة عبقرية ذات بأس
أنت فى الكون قوة كبلتها … ظلمات العصور من أمس أمس
والشقى الشقى من كان مثلى … فى حساسيتى ورقة نفسى

* * *

هكذا قال شاعر ناول الشعـ … ـب رحيق الحياة فى خير كأس
فأشاحوا عنها ، ومروا غضابا … واستخفوا به وقالوا بيأس :
« قد أضاع الحياة فى ملعب الجن (م) فيا بؤسه ! أصيب بمس ! »
« طالما خاطب العواصف فى الليـ … ـل وناجى الأموات فى كل رمس »
« طالما رافق الظلام إلى الغا … ب ونادى الأرواح من كل جنس »
« طالما حدث الشياطين فى الـ … ـوادى وغنى مع الرياح بجرس »
« إنه ساحر تعلمه السحرَ الشيا … طين كل مطلع شمس . . . »
« أبعدوا الكافر الخبيث عن الهيـ … ـكل إن الخبيث منبع رجس »
« اطردوه ، ولا تصيخوا إليه … فهو روح شريرة ذات نحس »

* * *

هكذا قال شاعر فيلسوف … عاش فى شعبه الغبى بتعس
جهل الناس روحه وأغانيـ … ـها فساموا شعوره سوم بخس
فهو فى مذهب الحياة نبى … وهو فى شعبه مصاب بمسّ !
هكذا قال ثم سار إلى الغا … ب ليحيى حياة شعر وقدس

* * *

وبعيداً ، هناك فى معبد الغا … ب الذى لايظله أى بؤس
فى ظلال الصنوبر الحلو والزيـ … ـتون يقضى الحياة حرساً بحرس
فى الصباح الجميل يشدو مع الطيـ … ـر ويمشى فى نشوة المتحسى
نافخاً نايه ، حواليه تهتز (م) ورود الربيع من كل قنس
شعره مرسل تداعبه الريـ … ـح على منكبيه مثل الدمقس
والطيور الطراب تشدو حواليـ … ـه وتلغو فى السرو من كل جنس
وتراه عند الأصيل ، لدى الجد … ول يرنو للطائر المتحسى
أو يغني بين الصنوبر ، أو ير … نو الى سدفة الظلام المـُمسى
فاذا أقبل الظلام وأمست … ظلمات الوجود فى الكون تغسى
كان فى كوخه الجميل مقيما … يسأل الكون فى خشوع وهمس :
عن مصب الحياة ، أين مداه ؟ ؟ … وصميم الوجود ، أيان يرسى ؟ ؟
وعبير الورود فى كل واد … ونشيد الطيور حين تمسى . .
وهزيم الرياح فى كل فج . . … ورسوم الحياة من أمس أمس . .
وأغانى الرعاة ، أين يواريـ … ـها سكون الدجى ، وأيان تمسى ؟ . .

* * *

هكذا يصرف الحياة ويفنى … حلقات السنين حرساً بحرس
يا لها من معيشة ، فى صميم الـ … ـغاب تضحى بين الطيور وتمسى !
يا لها من معيشة ، لم تشبها … نفوس الورى بخبث ورجس !
يا لها من معيشة ، هى فى الكو … ن حياة غريبة ذات قدس . .

تونس — محمد سبانة

على قبر الفردوسى

للدكتور عبد الوهاب عزام

أبا القاسم اسمع ثناء الوفود   تنظّم فيــك عقود الدرر
أبا القاسم اسمع نشيد الخلود   يرتّـلُهُ فيك كلُّ البشر
أبا القاسم اسمع لسان الزمان   بخلدك ، وهو الضنين ، أقرّ
فهذى اللغات وهذى السّمات   وهذى الوفود وتلك الزُّمَر
تترجم عن غرض واحـد   ويدركها فى مداك الحصَر
تُطيف بقبرك صرح العـلاء   وباب الخلود ومثوى الظفَر
فيالك قبراً قريب المدى   تظل العقول به فى سفَر
ويالك قبراً كمين البصير   يحوى العوالم منهـا الصغَر
ويالك قبراً غـدا طلسما   وراءك كنز الخلود استتر
ويالك ســطراً بقرآنه   تضيق الحياة ويفنى العمُر
ويالك بيتاً سما شِـعره   بمعنى الحياة ولفظ الحجر
وأحجاره كحروف الهجا   ء كل المعانى بها تُستطر

***

إمامَ البيان وربَّ القريض   وأصبرَ مَن للقريض صبر
وسبّاقَ حلبتـه فى الورى   ورب الحجول بها والغُرز
وناظمَ عقـد على نظمه   تخر الدهور وما ينـدثر
نظمت الكتاب كتاب الملوك   وما هو إلا سجلّ القدَر
طويت الزمان وأحداثه   بأوراقه ونشرتَ العِـبَر
فما جام جمشيد[1] إلا كتابُـ   ـك يجلو الأقاليم فيه البصر

***

فيالكَ من شاعر نابغ   عظيم الحياة جليل الأثر
ويالك من شاعر رابح   وكم شاعر فى الورى قد خسر

(١) كأس جمشيد كانت ترى فيها الأقاليم السبعة

ثلاثين عاماً نسجت القريض   حليف الهموم أليف السـهر
ثلاثين عاماً مضت للفناء   بهن اشتريت خلود الدهر
لقد صدّق الدهر ما قلتَ فى   كتاب الملوك بغيب النظر :
بنا هاى أباد گردد خراب   بجرّ ذُكاء وصوب المطر
پى افگندم أز نظم كاخى بلند   على الريح والقطر ما إن يخر[1]
مضى ملك محمود فى الذاهبين   وملكك فى الدهر ما يندثر
رضاه شاه حسبك من ناصر   لقدرك بعد القرون قدَر
يسيّر ذكرك فى الخافقين   مسير ذُكاء ومسرى القمر

***

طوينا البحار وشمّ الجبال   وجُردَ القفار وأيكَ الشجر
يطير بنا الشوق ملء القلوب   ويُحلى حديثك مُرّ السفر
وفى مصر كنت نجيّ الكتاب   بليغ العظات وحلو السمر
وها أنا فى طوس بين يديـ   ـك يبهر نفسى جلال بهر
فهيبة ذكراك روع الفؤاد   ومشهد حفلك يُخسى البصر
يضيق علىّ مجال الكلام   ويشردُ عنّى سِرب الفكَر
ويذهب شعرى ذهاب الحباب   على لجة البحر حين زخر
هر تانكس كه دار دهش ورای ودين   عليك الثناء الجميـــل نثر[2]
وما شاعر أنا كفء المديح   فأهدى اليك الثناء الأغر
ولكن سحابك أحيا المواتَ   وما بالارادة ينمو الزهر
خلدت على الدهر فى الخالدين   وخلّدَ شعرك من قد غبر
ودوّى قريضك فى الخافقين   يغنّى البُداة به والحضر
وروحك فردوسه فى السماء   وقبرك فردوس من قد شعر

طوس   عبد الوهاب عزام

(١) بيتان للفردوسى أثبت شطريهما الأولين بالفارسية وقد ترجمت الأخيرين ؛ ويجدهما القارئ فى أول صفحة من ترجمة الشاهنامه العربية
وترجمة الشطر الاول : يخر على الدهر كل بناء
وترجمة الشطر الثانى : بنيت على الدهر صرحاً أغر

(٢) هذا بيت للفردوسى معناه : كل من له عقل ورأى ودين سيثنى على بعد الموت . وقد أبقيت شطره الاول وترجمت الثانى

البريد الأدبي

العيد الفضي

عزيزي الزيات

في افتتاحية العدد الماضي أسميتم العيد العشريني للجنة التأليف العيد الفضي. وإن جاز أن يكون في هذه التسمية متسع لاختلاف الآراء، فاني أرى الأولى تسميته بالعيد الصيني، وذلك جرياً على العادة القديمة في بعض الأمم، واتباعاً للمراسيم المألوفة عندهم في الأعراس. فقد اصطلحوا على أن يهدوا للعروسين في ذكرى العرس السنوية الأولى شيئاً مصنوعاً من الورق، وفي الذكرى الثانية شيئاً مصنوعاً من «البفتة»، وفي الثالثة شيئاً من الكتان، وفي الرابعة شيئاً من الحرير، ويتلو هذه الخشب فالحلوى فالزهر فالجلد فالقش فالقصدير فالعقيق، إلى آخر قائمة طويلة يعني باستظهارها من لا يزال يُعنى بتلك المراسيم، ولاسيما التجار. ومن أشهر تلك الأعياد العيد العشريني ويهدى فيه الخزف الصيني، فالخامس والعشرون وتهدى فيه الفضة، فالثلاثون ويهدى فيه اللؤلؤ، فالأربعون وهديته الياقوت، فالخمسون وهو الذهبي، ثم الخامس والسبعون وهو الماسي؛ ومن بلغه فقد عمّر دهراً طويلاً. ولا شك أن زبط هذه الأشياء بهذه الأزمان منشؤه في كل حالة خاصة غير واضح، ولكن نستطيع أن نقول على وجه التعميم إنه يمت من قريب أو بعيد إلى ما كان يعتقد القدماء في المعادن والجواهر من يمن أو شؤم. حتى لتجدهم إلى اليوم يخصون الفصول والأيام، حتى والساعات بأحجار كريمة خاصة تدر على لابسها، أو الأرجح لابستها، كل خير وبركة؛ فالزمرد حجر الربيع لخضرته، والياقوت الأحمر حجر الصيف لأن لونه من النار، والياقوت الأزرق للخريف، والماس للشتاء ولونه من لون الثلج، يأخذ النور ويشع بالنور

أحمد زكي

(الرسالة) لصديقنا الدكتور الحق في هذه الملاحظة، ولنا كذلك الحق في هذا الاستعمال، لانهم اختصروا اليوم هذه الهدايا السنوية إلى ثلاث وهي الفضة في الشباب، والذهب في الكهولة، والماس في الشيخوخة. وأطوار العمر الثلاثة لا تحدد بسنة معينة

الأدب اليوجوسلافي في مختلف أطواره

كثر الحديث أخيراً عن يوجوسلافيا وأحوالها لمناسبة مأساة مرسيليا التي ذهب ضحيتها الملك اسكندر. وكان للناحية الأدبية نصيب من تلك الأحاديث؛ فنشرت مجلة «الأخبار الأدبية» مقالاً ضافياً بقلم الكاتب السربي ايفو باربتش عن الأدب اليوجوسلافي في مختلف العصور نلخصه فيما يلي:

ليوجوسلافيا حضارة قديمة وأدب قديم. وترجع آثار الأدب السربي والكرواتي والسلوفيني القديم الى القرنين العاشر والحادي عشر؛ وظهرت في القرن الحادي عشر أول آثار باللغة السلافية القديمة بقلم كيريل وميتود رسولي الأدب السلافي، وبلغت الحضارة اليوجوسلافية ذروتها في عصر «نيماجنا»؛ وهرع الى الأديرة القديمة كثير من شباب الأشراف والأمراء، يعيشون في تقشف، ويدرسون الآداب البيزنطية والنصرانية القديمة، ويترجمون آثارها الخالدة الى السربية القديمة. وبعد الفتح التركي (سنة ١٣٨٩) دخلت الآداب اليوجوسلافية في طور جديد، وسادت فيها مثل البطولة والعناصر الشعبية والغنائية، وبلغت ذروة هذه المرحلة في القرن التاسع عشر، ولفتت نظر الغرب بشاعريتها القوية المؤثرة التي تقص آلام شعب مهيض وتستوحي ماضيه المجيد، وتدعو الى تحرره من نير الغاصب

وقامت الى جانب هذه الحركة الأدبية العامة حركات أدبية محلية في البلقان وعلى ساحل بحر الأدرياتيك في القرنين الخامس عشر والسادس عشر تحت رعاية الحضارة البندقية. فكانت مدينة راجوزا مركزاً لحضارة سربية زاهرة، ونبغ بها عدة شعراء سربيين مثل منتشتش، ودرزتش، وجيورجتش. وبلغ شعر راجوزا غاية ازدهاره بالشاعر جوندلتش صاحب الأثر الشعري الخالد «عثمان»؛ وهي قصيدة قومية كبيرة، تضطرم وطنية، ويطبعها وحي الآداب الرومانية والنصرانية القديمة. وكان للدرامة

والكوميدية والشعر الريفي نصيب كبير في هذه الحركة . وتردد صدى هذه النهضة الأدبية الزاهرة في كثير من المدن الساحلية الأخرى مثل زارا ، وسبلاتو ؛ ونبغ بها عدد كبير من الشعراء والكتاب ؛ كما ترددت في بلاد الكروات والسلوفين

على أن هذه المظاهر الأدبية كانت تنقصها الوحدة والتناسق حتى القرن التاسع عشر . وكان أعظم العاملين على تحقيق هذه الوحدة الكاتب الكبير فوك كرادجتش الذي لبث زهاء نصف قرن يناضل في سبيل وحدة اللغة الأدبية يؤازره جماعة من أنصاره وتلامذته ، فكتب أجرومية للغة الأدبية ، وألف قاموساً ، ووضع قواعد جديدة للأملاء . وكتب اوبراد فتش كتباً شعبية كثيرة يدلل بها على وحدة الأصل الذي تنتمي اليه العناصر الصربية المختلفة ، وكانت زغرب عاصمة كرواتيا مهداً خصيباً لهذه الحركة الفكرية الجديدة ، وفيها ظهر لودفيت جاى وجمهرة من الكتاب الذين يعملون على تحقيق هذه الوحدة الأدبية

وكان ذلك بدء الأدب اليوجوسلافي الحديث ، وقد بدأ هذا الأدب متأثراً بالطابع الساذج القديم ، ولكن مشرباً بروح الأدب الغربي الحديث ، وكان زعماء هذا العصر نيوجوخ أعظم شاعر يوجوسلافي وصاحب الديوان الشهير « غار الجبل » ومازورانتش الكرواتي ، وبرشرن السلوفيني ، ونستطيع أن نذكر من الشعراء المعاصرين دوتشتش ، وشانتتش ، وراكتش ، ونازور ، وكيت . ونبغ أيضاً عدد من القصصيين متأثرين بالأدب الروسي والفرنسي ، ومنهم ليوبيشا ، ولازارفتش ، وسرماك ، وكوزاراك ، ولسكوفار ، وكانكار

وامتاز عصر مابعد الحرب باضطراب فكري عظيم ؛ وأبدى الجيل الشاب ميلاً جديداً لمتابعة الغرب في نزعاته نحو الأدب والفن ؛ وظهرت في حلبة الآداب اليوجوسلافية الفكر القومية والدولية والاشتراكية الجديدة ، أو بعبارة أخرى كانت النزعة الثورية تطبع أدب هذه المرحلة ، بيد أن هذه النزعة قد اختفت اليوم ، وعاد الكتاب والشعراء يعملون في هدوء لاخراج الآثار الأدبية الباقية . ومن زعماء الحركة الأخيرة مشش ودراجان ، وهما اللذان جمعا حولهما الشباب ، لمكافحة النزعة الواقعية التي مازال يدافع عنها أساتذة جامعة بلغراد . وثمة حركة أخرى ربما كانت أكثر رسوخا وهي حركة « التعبير » التي يتزعمها فناقر ، ثم مانيولفتش الذي ترك الشعر ليكتب القصة والقطع المسرحية . ومن أقطاب حركة التعبير أيضاً راستكو ، وكريانسكي ، وهو قصصي شاب يبشر بمستقبل عظيم ، وله تلاميذ ومقلدون كثيرون ؛ وملادنوفتش الذي أثار بعنف دراماته كثيراً من النقد ، وبجدا نوفتش الناقد الكبير

على أن هنالك عدداً من الكتاب الذين استطاعوا أن يحتفظوا برزانتهم بعيداً عن التأثر بأزمة ما بعد الحرب ؛ ولهؤلاء آثار تمتزج فيها النزعة الواقعية بالطابع الابداعي . وهنالك صفوة من الكتاب والنقدة يجمعهم « نادي القلم » (P. E. N) ، ويكونون ما يمكن أن يسمى « أرستوقراطية أدبية »

وقد تأثرت الحركة الأدبية بالأزمة الاقتصادية الأخيرة ، وأحجم كثير من دور النشر عن إخراج المؤلفات الجديدة . بيد أنها أزمة مؤقتة لا يلبث أن يتغلب عليها الجيل الشاب بنشاطه وحيويته الفتاة

عيد اللغة الألمانية

تحتفل الدوائر العلمية والأدبية في ألمانيا بمرور أربعمائة سنة على نشوء اللغة الألمانية الحديثة وترجمة الأنجيل الى الألمانية . ولم تكن ألمانيا قبل أربعمائة عام تتمتع بلغة موحدة ؛ وكانت اللغة اللاتينية ما تزال سائدة في الكنيسة والأدارات الحكومية ، بل كان الشعب نفسه يجد في اللاتينية مثله الأعلى في الأدب والثقافة . ففي أوائل القرن السادس عشر ظهرت حركة الاصلاح الديني (البروتستانتية) على يد زعيمها مارتن لوتر ، فكانت إيذاناً بقيام اللغة الألمانية الموحدة . وكان الشعب الألماني يتكلم عندئذ عدة لغات متقاربة ترجع كلها الى أصل جرماني ؛ فدرس لوتر هذه اللغات مع أصدقائه وتلامذته ، واستخرج منها لغة عامة يتقارب الجميع في فهمها ، واتخذ عمادها لغة ألمانيا الوسطى (سكسونية) التي ينتمي اليها ، فأنشأ بذلك في الواقع لغة جديدة هي أصل اللغة الألمانية الحديثة ، وكانت أكبر أداة في إذاعة هذه اللغة الموحدة ترجمة الأنجيل ؛ ترجمه اليها لوتر ، وعاني في هذه الترجمة صعاباً لا

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

القصص

ورقة النصيب

للأستاذ محمد سعيد العريان

جلس إسماعيل على المقعد الخشبي بجانب غرفته على السطح، يغني في حنين الواجد ولهفة المشتاق بعض أغنيات بلاده، ويتابع بعينيه الشمس الغاربة منحدرة انحدارها اليوميّ، كأنها جمرة كبيرة تطفأ في النيل

كان يعيش وحده في هذه الغرفة من منزل كبير في حي «بولاق» يشرف من بعدٍ على النيل، فكانت سلوته وأنسه أن يجلس ببابها عصرَ كل يوم، من لدن عودته من المدرسة حتى يعم الظلام؛ ثم ينهض فيسرج مصباحه ويكبّ على مصوّراته ودفاتره وقد انحدر منذ عام واحد من بلده في الصعيد الأدنى عقب حصوله على شهادة (الكفاءة) ليطلب العلم بمدرسة الفنون

كم كان مفتوناً بالقاهرة قبل أن يهبط اليها، وَلوعاً بها أشد الولع. ولعله لم يمعن في الجد والدأب للحصول على الشهادة، إلا لأنه كان موعوداً أن يرسل الى القاهرة إن جاز الامتحان!

فلما هبط اليها إذا هي تتضاءل وتتضاءل على الأيام، حتى لم تعد إلا هذا الحيّ العتيق الذي يسكنه، وهذه الطريقَ الملتوية التي يسلكها كل يوم بين مدرسته والبيت، وهذا السطحَ الذي يشرف منه على أطلال الحلم السعيد — أطلالِ القاهرة التي عرفها في الخيال، واستمتع فيها بلذة المنى ووهم الحب ودنيا الشباب!

وكم كان يتمنى أن يتيح له الحظ ليلةً سعيدة من تلك الليالي العابثة التي عاشها في القاهرة أولَ ما هبط اليها! ولكن... ولكن من أين له المال؟

إنه ما يزال يذكر في لهفة وشوق تلك الليالي السعيدة؛

بحصى. وقضى في إخراجها زهاء اثني عشر عاماً. وكان أثناء ذلك يلقي خطاباته ويخرج رسائله وكتبه باللغة الجديدة التي اختارها.

ولما ظهرت ترجمة الأنجيل الجديدة في سنة ١٥٣٤ في فتمبرج، كان ظهورها ظفراً عظيماً في الكنيسة وفي الأسرة معاً، وكان فجر اللغة الألمانية الجديدة. وطبع أنجيل لوتر أربع عشرة مرة في كل مرة ثلاثة آلاف نسخة، وذاع في طول البلاد الألمانية وعرضها، وأقبل الشعب على قراءته وحفظه، وبدأت الشعوب الألمانية المختلفة تتبادل التفاهم والتعامل باللغة الموحدة. وإنجيل لوتر هو الأصل الأول الذي تقوم عليه اللغة الألمانية المعاصرة مع شيء من التغيير والتطور، وما زالت لغته مفهومة لجمهرة المثقفين والمتعلمين

في الأكاديمية الفرنسية

نقص عدد الخالدين أعضاء الأكاديمية الفرنسية في هذا العام خمسة، فأصبحوا اليوم خمسة وثلاثين بدلاً من أربعين؛ فخلت مقاعد بريمون وكاميل جوليان والماريشال ليوتي ثم بارتو وبوانكاريه بالوفاة تباعاً. ولم تشهد الأكاديمية الفرنسية منذ أمد بعيد مثل هذه الثغرة في كراسيها. والمعروف أن المرشح لكرسي جوليان هو جورج دوهامل، ولكن ينافسه ليون بيرار؛ وأما المرشح لكرسي بوانكاريه فيقال إنه سيكون مسيو دومرج الذي خلف مسيو بوانكاريه في رياسة الجمهورية ثم في رياسة الحكومة

وكان انتظام بوانكاريه في الأكاديمية في التاسع من ديسمبر سنة ١٩٠٩ في الكرسي الذي خلا بوفاة أميل جبهار. واستقبله المؤرخ الكبير ارنست لافيس مدير الأكاديمية يومئذ بهذه الكلمات التي تعود فتتردد اليوم: «إن ذكاءك يجعلك على اتصال مع عمال الفكر جميعاً. فأنت ضوء من أضواء المحاماة، وأنت ضوء من أضواء البرلمان؛ وإن الأكاديمية الفرنسية لتستقبلك باسطة الذراعين... ثم إن فيك قوة، قد تغدو هائلة، يوم تعتقد أن السياسة تتطلب رجلها»

وما يزال يذكر أيضاً في ألم وحسرة أنه احتمل مما أنفق في تلك الليلات ما لم تكن له به طاقة ، من ألم الجوع وذل الحرمان ، وأبى أن يكتب لأبيه يومئذ أنه فارغ اليد مما أسرف على نفسه

وقنع من أحلامه بهذه السكنى الهادئة ، وبأن يعيش من الجنة في ظل حائطها الفينان . وعرف فيه بنات الدار شاباً جم الحياء ، عفيف اللسان والنظر ؛ فألفن الصعود الى السطح في الأصيل يستمتعن الى ترجيع أغانيه في طرب ونشوة ، ثم يتفرقن قبل أن يزحف الظلام ؛ وألف إسماعيل أن يراهن كل يوم ، وأن يبادلهن الحديث البريء في شؤون وفنون . . . وزال الحجاب بينهما على الأيام

***

وأطال إسماعيل الجلوس يومئذ حتى غابت الشمس ، ولم تصعد واحدة . ترى ما ذا منعهن الليلة ، وقد اعتدن واعتاد منذ شهر أو يزيد — منذ سكن هذه الدار — أن يجالسهن جميعاً أو أشتاتاً ، ساعة أو بعض ساعة كل مساء ؟ . . . ومد الظلام رواقه على القاهرة ، وعلى قلب المبعد اللهفان

ودخل غرفته فأشعل مصباحه وبسط دفتره ، فاذا هو لا يكاد يرى ، واذا الكلمات والسطور تتلوى أمام عينيه ، كما تشاهد فرقة زنجية راقصة . . . !

وطوى دفاتره وارتدى ثيابه وخرج الى الطريق ؛ كانت الليلة ليلة الجمعة ، فلم يجد حرجاً أن يقضيها في السينما . . . ووقف ببابها متردداً وهو يحصى النقود في جيبه ، وعيناه تتبعان المارة أزواجاً وجماعات ، وهو وحده من بينهم لا يتأبط إلا همه ! ليته كان يستطيع أن يدعو واحدة من صديقاته في الدار الى نزهة ، فيصحبها ذراعاً الى ذراع في الطريق كهؤلاء الذين يرى ! ولكن من أين له ، من أين له المال ؟

كم يكفيه ليقضي ليلة سعيدة في صحبة فتاة ؟ لقد عرف القاهرة الآن عرفاناً تاماً ، فلا سبيل الى أن يخدع . سيشاهد معها السينما في شرفة ذات أستار ، ويتعشيان معاً في مطعم فاخر ، ثم يستقلان سيارة الى الهرم ، ويشترى لها كل ما تهفو نفسها اليه في الطريق ، وبعدئذ . . . وبعدئذ يعودان الى الدار

وفرغ من حسبته وهو يبسط أصابعه ويطويها يحصي ما أنفق ، وعيناه تأخذان كل من يمر به . . . جنيه ، جنيه واحد سيمنحه سعادة ليلة ! وسخر من نفسه حين انتهى الى ذلك : من أين له الجنيه ؟

ومر به غلام يبيع الجنيهات بالقروش ؛ يبيع النصيب ! ومد إسماعيل يده فأعطى البائع قرشاً ، وتناول ورقة فطواها بعناية ووضعها في جيبه ؛ كأنما هو يطوى الجنيه الذى سيصل بين يقظته وأحلامه . ثم عاد الى البيت ، فلم يشهد السينما

لم يفكر في شيء من أمره تلك الليلة ، فنام ملء عينيه وملء بطنه ! ورأى أباه في الرؤيا بجلبابه الأسود الفضفاض ، وعمامته التي تكبس أذنيه وبعض وجهه ؛ جالساً بين غرائر الفول على ظهر المركب المُنْحدِرة الى الشمال ، يحصى ربحه ونفقاته ، وقد اغبرت لحيته وعلا التراب كتفيه

ونهض في الصباح فنسى كل ما كان من أمره . وصعدت احدى صواحبه الى السطح لبعض شأنها ، فحياها وحيته وهو يبتسم ، كأنه يخفي عنها مفاجأة سارة . وعادت الفتاة وعاد اسماعيل الى شئونه

وأوقد النار ، وراح يهيء الفول بيده على طريقة بلاده ؛ سوف لا يتغدى في المدرسة هذا اليوم لأنه يوم عطلة ، وفي فطوره الفول ما يغني عن الغداء ، فلا تختل ميزانية اليوم !

ومر يومان وراح يكشف عن بخته بين أوراق النصيب . . .

وترقب الفتيات أن يسمعن غناءه فيصعدن اليه ، ولكنه لم يعد ، واستقل أول قطار الى الصعيد . . .

مائة جنيه ! يا للبخت ! لم تكن أحلامه لترتفع الى ذلك ! إنها لثروة . وقسم النقود قسمين ، واشترى حافظة ثمينة فوضع فيها بعض ماربح ، وخاط جيبه على الباقي . . . لقد دبر أمراً ليخدع أباه ، حتى لا يحرمه المال كله !

***

وخرج الشيخ متولى من المسجد يداعب سبحته بيده ، ويتمتم بالتسبيح والدعاء ، وهو في هم لمقدم ولده من غير داعية . . . وقبل الفتى يد أبيه ، وقال له وهو يبتسم :

— الحمد لله على سلامتك يا أبي ، لقد كنت مشتاقاً اليك !

— مشتاقاً الي ! وهل جئت من أجل ذلك ؟ حسبتك رجلاً يا اسماعيل !

— نعم . . . ولكن . . .

— لكن الرجل يجب أن يكون على قوة احتمال وصبر ، ولستَ ولدى إن لم تكن رجلاً

— بلى ، وإنما قدمت لأمر . . .

— أيّ أمر ؟

— لقد ربحت خمسين جنيهاً فرأيت أن أجعلها عندك !

— خمسين جنيهاً ؟

— نعم !

وانبسطت أسارير الرجل ، وداعبت شفتيه ابتسامة ، واتسعت حدقتاه ، وعاد يقول :

— ومن أين لك رأس المال ؟ لم تخبرنى من قبل أنك فى تجارة !

— لقد ربحت ورقة نصيب !

— وَىْ ! ورقة نصيب ؟ قِمار ؟ مَيْسِر ؟

واستوى عوده ، وانكمشت يده واختلجت شفتاه ، ثم قال :

— لا لا ، ويحك ! لاتجعلها فى مالى ، إننى رجل شريف ، إن مالى من عرق جبينى فلا أريد أن يمحقه المال الحرام !

— أبى !

— اسكت ! قم فرُدّها اليهم ، دعهم يفرقونها على أصحابها المساكين ، مِن يَدِ كَمْ بائس اجتمعت القروش حتى عادت خمسين جنيهاً ؟ إنهم يخدعون الجهال البائسين فيسلبونهم القروش القليلة التى يملكونها ، ليوهموهم أنهم سيقاسمونهم بعض مايجمعون ؛ بعض ما يسرقون !

— وهل يمكن . . .

— يمكن أوْ لا يمكن ، فلن أجعلها فى مالى ، إنها ملوّثة ، قذرة ، هل تعرف من أين اجتمعت ؟

— لا أعرف

— المال الحلال يُعرَف دائماً مأتاه . . .

كان قلب الولد يضحك ووجهه عابس ، ولم تنته المناقشة بينهما الى حد ؛ فقد تحرّج الشيخ الورع أن يضمّ ربح (الميسر) الى ماله ، ولكنه لم يسأل نفسه عما سيفعل ولده بالمال

* * *

وعاد اسماعيل الى القاهرة ، ولكنه لم يعد الى داره إلا بعد ليالٍ ثلاث .. وأطل الفتيات من خلف الباب يشهدن اسماعيل عائداً الى الدار ، يصعد الدرج فى زهو وكبرياء ، وعليه حلة جديدة ، وفى عينيه فتور ينبىء أنه قضى ليله سهران

وترامى إليهن غناؤه من فوق السطح أكثر حناناً وفتنة ، كما بدا هو أكثر مرحاً ونشاطاً مما كان . وتبادل الفتيات النظر ، ثم ولجن غرفهن وغلّقن الأبواب

لم تحاول واحدة منهن أن تصعد اليه بمرأى صواحبها ، فقد بدا لهن مما تغير من هيئته وحركاته كأنه شخص آخر غير اسماعيل الذى يعرفنه ويثقن بعفته وأدبه ، وكأنما ألْهِقَ اليهن جميعاً معنىً واحد ، فخجلن أن يبدون له ، وإن أخذت كل واحدة منهن تؤمل أن تجد فرصة من غفلة رفيقاتها لتصعد اليه وحيدة

وسبقتهن (حكمت) الى ذاك ، ولكنها لم تُظهر له أو لواحدة منهن أنها تعمدت أن تصعد

واستقبلها اسماعيل ضاحكا ، وهزّ يدها بلطف ، وجلسا يتبادلان الحديث . ثم افترقا على ميعاد . . . ووجد الفتى تعبير رؤياه ، وكان حُلماً أشرق عليه الصبح ، فأتمته اليقظة التى تصنع الأحلام

ولكنه لم يقنع بسعادة ليلة ، وعاد يتعرّف القاهرة من جديد ، القاهرةَ التى فتنته قبل أن يراها ، والتى ذاق فيها من ألم الحرمان أكثر مما ذاق من لذة الوهم ؛ وراح ينتقم لشهوات نفسه التى قمعها على ألم وضيق عاما وبعضَ عام

ونفدت دراهمه

* * *

لم تجر سفينة الشيخ متولى مجراها كما كانت ، فركدت ريحه ، وأدبرت أيامه ، وعادت الحياة تقتضيه مضاعفة الجهد وبذل الموفور

وجلس اسماعيل مع أبيه ذات يوم صائف بباب متجره ، ومر بائع النصيب ؛ وتحلّب لعاب الفتى وطارت أمانيه الى هناك ؛ الى القاهرة وليالى القاهرة ؛ والى حكمت وصواحب حكمت ! ولكنه أفاق من حلمه إذ رأى ذراعه الى ذراع أبيه ... والتفت فاذا الغلام واقف ، وإذا أبوه يخرج من جيبه أوراقا

الشاعر والوردة

في سنة ١٢٥٧ ميلادية في إحدى قرى ألمانيا على ضفة نهر الرين ، كان البارون أوتودى سيد القاطعة مشهوراً بين قومه بثروته الطائلة وأحكامه القاسية

جمع هذا الرجل كل ما ملك من ذهب وجواهر ووضعها في صناديق مفتوحة في قاعة تحت الأرض ، وكانت الشمس تدخل هذه القاعة من ثغرة في نهايتها فتضيء بأشعتها هذه الجواهر الغالية

وكان البارون يجد تسلية لا تعدلها تسلية في السماح لمن يشاء أن يدخل تلك القاعة ويملأ جيوبه من المال بقدر ما يستطيع على ألا يستغرق في ذلك إلا مقدار ما تدق الساعة عشر دقات ، فاذا انتهت المدة ولم يخرج الرجل اعتبر سارقاً ما يحمله من الجواهر وحكم عليه بالرق مدة حياته

فكان يطمع في هذا المال كثيرون كل يوم ، وكان عدد عبيد البارون يزداد بقدر عدد الذين طمعوا في ماله لأنه لم ينج من هذه الأحبولة أحد . وهذا ما كان البارون يتوقعه ؛ ولم تخيب الأيام ظنه مرة واحدة

ففي ذات يوم مر على قصر هذا البارون شاعر مطبوع ، وشاب مشهور بين قصور أمراء ألمانيا في ذلك الحين بجمال ورقة شعره ورخامة صوته ومهارته البالغة في الضرب على القيثارة . وكان يقضي حياته متنقلاً بها من قصر الى قصر

واتفق أن ابنة البارون ووحيدته دخلت في ذلك اليوم في عامها السادس عشر ، فطلب اليه البارون أن يحيي ليلة موسيقية تكريماً لها

وقبل أن ينصرف الشاعر طلب اليه البارون أن يدخل قاعة المال ويأخذ منها ما يشاء ، على شرط أن يكون خارج القاعة قبل أن تنتهي المدة المقررة ، وكأنه بهذا الطلب أراد أن يستأثر بهذا الشاعر ويستعبده كغيره من الشبان

ولكن الشاعر أجاب : « وماذا أفعل بمالك ؟ ! لست في حاجة إليه ، لأنني أشعر أن في نفسي من اللآلئ مالا تعد جواهرك الثمينة بجانبه شيئاً » ولكن البارون ألح عليه فأجاب طلبه

فلما كان الشاعر داخل القاعة أبصر من هذه الثغرة وردة انبهر من جمالها نظره وخفق لحسنها قلبه ، فوثب فوق المال المكدس واقتطف تلك الوردة وخرج مسرعاً قبل أن تنتهي المدة . فلما رآه البارون أول من خرج من القاعة دهش . وقال له « إن ما حملته من المال ملك لك » ولكن البارون لم يجد شيئاً مع الشاب سوى تلك الوردة الجميلة . فقال له « أهذا كل ما أخذته من القاعة ؟ ! » فقال الشاعر « إني لم أر في مالك ما هو أجمل منها ، بل ليس على الأرض ما هو أجمل منها . . . . »

ولم يكد ينتهي من حديثه حتى أقبلت الفتاة على والدها وحمرة الخجل تعلو وجنتيها . فلما رآها الشاعر دهش لجمالها الفاتن وقال متمماً حديثه مع والدها « . . . إلا هذه الفتاة » ثم طلب من البارون أن يسمح له بتقديم تلك الوردة هدية الى ابنته . فقالت الفتاة لأبيها : « إنه يفضلني على هذه الوردة يا أبي ، وقد فضلها على كل جواهرك ؛ فليس على الأرض فارس أرق منه شعوراً ولا أشرف منه عاطفة ، ولا أصدق شعراً ، ولن أكون زوجة إلا له »

وهكذا أصبح هذا الشاعر الحق ، وذلك الشاب النبيل ، زوجاً لهذه الزهرة الحية الجميلة

« عن الانجليزية » كلية غردون

علي محمد احمد

يكشف بينها عن بخته ، ثم يمزقها ويلقيها ، وإذا هو يشتري غيرها فيطويها ويجعلها في جيبه ، ليضم صدره على أمل جديد . . . !

وتبالَهَ الفتى فنهض من مجلسه ليخفي ابتسامة ساخرة ، وعلى طرف لسانه كلام . . .

لم يعد الشيخ متولي يسأل نفسه : من أين اجتمعت هذه الجنيهات التي يحاول أن يشتريها بالقروش ! فلعله كان يعلم أنها اجتمعت من قروشه الكثيرة التي أداها هو الى باعة البخت ، منذ تعلم أن يحاول شراء البخت بالمال . . . منذ رجع ولده . . . !

وضحك (إبليس) من الشيخ متولي وهو يمزق الأوراق ويشتري غيرها ، وقال لشيطان صغير وهو يعلمه :

« أنظر هذا الأبله ؛ ما أرسلت اليه ابنه إلا رسالتي ، فقد علقته الحبالة . حسب الانسان الضعيف أن أريه الحرام مرة ؛ فهذا أول عملي في طبيعته »

قال الشيطان الصغير « ثم بعد ذلك ؟ » قال المعلم « بعد ذلك — أيها الأبله — طبيعته . . . ! »

محمد سعيد العريان

الـكتب

فى التربيـــة

بحث فى عوامل التربية غير المقصودة

تأليف الدكتور على عبد الواحد وافى

قررت وزارة المعارف هذا الكتاب لطلبة دار العلوم ، وهو يقع فى نيف ومائتى صفحة من القطع الكبير

وجد مؤلفه الفاضل أن كتب التربية التى صدرت فى مصر حتى الآن توجه القسط الأكبر من عنايتها الى عوامل التربية المقصودة ، أعني تلك العوامل التى تنحصر فيما يتخذه المربون من وسائل حيال الناشئين بقصـــد التأثير فى جسومهم وعقولهم وأخلاقهم تأثيراً يعـدهم للحياة المستقبلة ، بينما تنصرف عناية المؤلفين عن تلك العوامل التى يسميها الدكتور الفاضل عوامل التربية غير المقصودة ، والتى تؤثر تأثيراً قوياً فى حياة الصغار دون تدخل من المربين ، ومن تلك العوامل البيئتان الطبيعية والاجتماعية وما اليهما من طرق معيشة الأمة ومقدار حضارتها وأشكال نظمها وصنوف تقاليدها ، مضافا الى هذا تلك الأمور التى يقوم بها الطفل من تلقاء نفسه ، ويكون لها أثر قوى في سلوكه ونشوئه ، كالألعاب الحرة والأعمال التى يميل اليها الطفل مدفوعاً بغريزة المحاكاة والتقليد

ولقد خصص المؤلف كتابه هذا لدراســة طائفة من تلك العوامل وهى اللعب والتقليد والوراثة والبيئة الجغرافية والبيئة الاجتماعية

تكلم عن وظائف اللعب التربيوية وما قيل فيها من نظريات ، وناقش هـــذه النظريات مناقشة العالم المجرب فى منطق مستقيم وترتيب حكيم ، دون أن يغفل أى ناحية من نواحى الموضوع ، ثم أورد ملخص هذه النظريات مبيناً وظيفة اللعب الأساسية ووظائفه الثانوية ، وبعد ذلك أتى على أقسام اللعب الانسانى وأوضح الفرق بين اللعب والعمل ، وتكلم على تطور الألعاب وارتقائها ، وختم موضوع اللعب بما عساه أن ينتفع به المربى من اللعب فى التعليم ، وهو كما ترى فصل قوى شيق يستغرق أربعاً وستين صـفحة من الـكتاب

وانتقل بعد ذلك إلى التقليد ، فتكلم عن التقليد فى الصوت شارحاً الأصوات الوجدانية واللغة وأساس كل منهما عند الطفل ، وشرح التقليد فى الحركة مبيناً أنواعه ومراتبه وأساسه ، إلى أن انتهى إلى بيان وظائف التقليد التربيوية ، كل ذلك فى بسط ودقة وحسن ترتيب

أما الفصل الثالث وموضوعه الوراثة ، ذلك الموضوع الدقيق فقد تناوله المؤلف بما يتناسب مع خطره من الشرح والبسط ، فحدثنا عن أنواع الوراثة وأسبابها وأهميتها وعلاقتها بالتربية ، حديث الخبير الفطن

وفى الفصلين الأخيرين تكلم عن البيئتين الجغرافية ، والاجتماعية العامة ، ناهجاً فى ذلك نهجه فى الفصول الثلاثة السالفة

فهذا الـكتاب كما ترى من موضوعه ، أحد الـكتب الهامة التى تعد من مظاهر هذا الدور العلمى الذى تجتازه مصر فى عهدها الحالى ، فأذا أضفت إلى موضوعه ، تلك الروح القوية التى عرض بها ، وذلك المجهود الذى يتجلى فيما حواه من شروح وتعليلات ومناقشات ، وكلها وليدة عقل متزن ونتيجة اطلاع واسع ودراسة دقيقة ، أمكنك أن تقدر قيمة هذا الـكتاب العلمية فهو بحق أحد المؤلفات التى تقابل بالغبطة ، والتى يحتاج إليها كل معلم ، بل وكل مثقف يهمه أن يقف على نواح من المعرفة تهمه فى حياته العملية وفى دراساته النظرية

الخفيف

الالحان الضائعة

نظم حسن كامل الصيرفى

قرأت ديوان شاعرنا الشاب ، فأحزننى لعمر الله هذا البكاء الذى لاينقطع ؛ وهذه الشكوى المريرة التى تعج بها قصائده ، ورحت أتلمس سر تلك الكآبة الجازعة ، فلم أهتد الى شيء ، فطويت الـكتاب وأنا برم بهذه النزعة من شاب فى مقتبل العمر ، أجل ، ربما كان الشاعر قد صادف فى حياته ما أجرى دموعه ، ولـكن متى كانت رسالة الشعر النجيب والشكوى فى غير سبب معروف وفى غير ايضاح من الشاعر عما ناله ؟ على أنه لو كشف عن سر بكائه لـكان الواجب يقضى عليه أن يقتصد فى شكواه أو يعرضها فى صورة غير تلك الصورة اليائسة المستسلمة .

تفتح ديوان هذا الأديب الفاضل فتجده يصف نفسه بالضحية ويرمز لنفســه بالواحة المنسية ، ثم يصور لك حياته فى صور باكية يائسة ؛ وذلك فى عدة قصائد ، « كالحى الدفين » و « اللحن الضائع » و « القلب المحطم » و « الشكوى الصامتة » و « جرح الألم » و « الصدى الخافت » و « جفاء الطبيعة » . . . الخ

أما شعره فى ذاته فلى عنه بعض ملاحظات أرى الرغبة فى الانصاف تقضى على بسردها .

أول ما ألاحظ عليه أنه كثير الميل إلى المجازات والاستعارات الغريبة فيذكر فى شعره كهوف الحياة ، وقيثارة الحياة ، وقبر الحياة ، والفضاء الجمود ، ولهيب الأنين ، وجنان الخيال ، وعصير الشجون ، وظلال الفتون .. الخ فضلاً عن إتيانه بكثير من المعانى والأخيلة الغريبة فيتحدث عن الشمس مثلاً عند الغروب بأنها :

تخفى الأسى خلف النخيل   مثل ابتسامات العليل

ويقول :

نزل المساء برَجـله   وجرى الظلام بخيله

ويصف الفجر فيقول :

فاذا الجو غارق فى اهتزاز   كاهتزاز الأوتار دون (نشاز)
وخفوق لـكنه باعتزاز

ويقول :

أعيش أشـاطرهم بؤسهم   وأملأ كأسى عصير الشجون

إلى غير ذلك من الصور والأخيلة الجزئية ، فضلاً عن الصور الكلية ، وهى لا تقل عن هذه غرابة كقصيدة « الشاعر وموت عزرائيل » و « أغانى الربيع » وغيرها ، وبهذه المناسبة أقول إن بعض شعراء الشباب قد استولت على أذهانهم فكرة غامضة هى فكرة الشعر الرمزى ، يرددون هذه الكلمة دون أن يفهموا المقصود منها ، وينظمون القصائد ويسوقونها مطلقة جامحة ، وأى غضاضة فى هذا ، أليست من الشعر الرمزى ؟ ! وهكذا يطلقون الأعنة لأخيلتهم على غير هدى وإلى غير مقصد ، ولا يخفى مايجره هذا من الضرر على تفكيرهم ومُثلهم ، وانى لأخشى طغيان هذه الظاهرة وأعدها من أكبر العقبات التى تقف فى سبيل تقدم الشعر العصرى ، ولابد لشبابنا أن ينبذوا هــذه الفكرة إذا أرادوا أن تنضج مدرستهم ، وتبرز شخصياتهم ، وتحدد وجهاتهم .

والأديب الصيرفى فضلاً عما تقدم قليل العناية بقوافيه وبلغته على وجه العموم ، ولعله فى ذلك أيضاً متأثر بفكرة أخرى يرددها بعض أدبائنا وهى أن الألفاظ يجب أن تضحى فى سبيل المعانى ، فما دام المعنى جيداً فلا عبرة باللفظ الذى يؤديه ! وليت شعرى كيف يكون اللفظ سقيما والمعنى سليماً ؟ إن للشعر ألفاظاً خاصة وديباجة خاصة ، وروحا خاصة ، لا فى اللغة العربية فحسب ، ولـكن فى غيرها من اللغات ، ولو آمن بذلك شبابنا لأخذوا أنفسهم بما يصلح أذواقهم ويصفى عباراتهم فيتم لهم الجمع بين جمال الفـكرة وجمال أدائها

هذه هى بعض ملاحظاتى عن ديوان الصيرفى فى موضوعه ، أما عن شكله فأرانى مضطرا إلى أن أصارحه بأننا نود أن نخلص من أمثال تلك المقدمات التى يجتهد أدباؤنا فى الحصول عليها من أصدقائهم ، تلك المقدمات التى تحشد فيها عبارات الاطراء من غير تحفظ ، إذ أن هذا الاطراء يأخذ السبيل على القارىء ؛ ثم هو من جهة أخرى لما يتضمنه من المبالغة يجعل القارىء ينتظر من الديوان مايتفق مع عبارات المديح حتى إذا جاءه لم يجد فيه مايحقق رغبته ، وفى هــذا ما فيه من تقويض دعائم النقد والاستخفاف بعقول القراء .

وأحب قبل أن أختم كلمتى أن أشير الى بعض قصائد فى هذا الديوان سما فيها الشاعر سموا عظيما ، ولو جرى فى شعره على مثلها لـكان لنا أن ننتظر منه أحد شبابنا المتفوقين ، وتلك القصائد هى : النسمات الساخرة ، والشجرة العازبة ، وتحت ضوء القمر ، ووحى الشعر ، وموت البلبل ، وأشباهها ؟

الخفيف

الانشاء التعليمى

تأليف الأستاذين

محمد شفيق معروف و محمد عبد الغنى الأشقر

يقع هذا الـكتاب فى مجلدين أنيقين ، على ورق مصقول . ولعله الأول من هــذه الـكتب الـكثيرة التى أخرجها مؤلفوها يقصدون بها الى صغار التلاميذ لينهضوا بانشائهم الى المستوى الذى يريدون ، فقد سلك هؤلاء المؤلفون جميعاً طريقاً واحدة ، لا أحسبها مؤدية بهم الى الغاية المقصودة على الوجه الأكمـل ، لأنهم قنعوا بأن يقدموا لتلاميذهم طائفة من الموضوعات الجيدة ليتخذها هؤلاء نماذج فيما يسطرون ، ونحن نرى فى ذلك قلباً للاوضاع وعكساً للمنطق ، وكأننا بهؤلاء المؤلفين قد أرادوا أن يقفزوا بالصـغار الى سطح الدار دون أن يمهدوا لهم درجا هيناً يمكنهم من الصعود

أما هذا الكتاب الذى تقدمه الى القراء ، والمدرسين خاصة ، فقد فرض فى الطفل طفولته المتعثرة العاجزة ؛ فأخذ بيده أخذاً رفيقاً متدرجاً به من تكوين الجملة الى بناء الموضوع ، فلا يعترض طريقه نتوء يقعد به عن إتمامها

ذلك مجهود موفق مشكور أملته خبرة بالتدريس لا تتفق للكثير

ز . ه . م

دير الربان هرمزد

بقلم كوركيس حنا عواد

تناول هذا الكتاب بالبحث المستفيض أثراً قديماً فى العراق يقع قريباً من الموصل ، وهو ذلك الدير الذى أشار اليه العنوان . وقد بسط المؤلف القول فى هـــذا الدير بسطاً صوره للقراء تصويراً شاملاً دقيقاً ، فرسم لك الطريق التى تؤدى بك الى مكان هذا الأثر ، ثم وصف لك الدير نفسه بمن فيه من رهبان . وهنا استطرد فقدم كلمة عن الرهبنة فى الشرق وما يجرى عليه من سنن ثم تناول حياة الربان هرمزد نفسه بالبحث

وأقل ما يشكر عليه مؤلف هـذا الكتاب الفني الدقيق ، ما تجشمه من عناء لكي يبرز هذا الأثر فى ضوء الشمس ويضعه من قراء العربية تحت أبصارهم

ز . ه . م

نبـــذة تاريخية

(بقية المنشور على صفحة ١٨٠٤)

وقفة قصيرة تنظر فى ماضيها وتستعرض تاريخها . وأظنها تغتبط لذلك — أولاً — لأنها عاشت عشرين عاماً فى جو كثيراً ما تموت فيه مشروعات وليدة — وثانياً — لأنها عاشت عيشة طبيعية فتدرجت فى أدوار الحياة على مهل ولم تطفر طفرة شيطانية . وتغتبط إذ تراها قد ضمت كثيراً من صفوة رجال العلم ، وأخرجت للناس نحو الستين كتاباً بين مؤلف ومترجم ومنشور ، تسد كلها حاجات الثقافة فى أطوار التعليم المختلفة — كما أنها تغتبط بثباتها فى مركزها وحصرها نفسها فى الدائرة التى رسمتها لنفسها من أول أمرها ، فلم تتدخل فى مجادلات دينية ، ولم تغامر فى نواح سياسية ، إيماناً منها بأن الثقافة ونشرها وسيلة من أكبر الوسائل لرقى الأمة ، ومن أكبر عوامل الاسراع فى نهضتها

وتبتهج إذ تبتدئ مرحلة أخرى من مراحلها ، بدايتها تكوين مطبعة مستقلة لها تساعدها على تحقيق غرضها فتزيد نتاجها ، ويتضاعف مجهودها . وقد أسست — فعلاً — المطبعة وبدأت من ثلاثة شهور تخرج الكتب التى ترى اللجنة نشرها ، وهذا بلا شك يتطلب من اللجنة بذل مجهود أكبر فى التأليف والترجمة ، إذ تشعر — مع وجود المطبعة — بأن وراءها ما تموله يصيح دائماً بطلب الغذاء ، وليس غذاؤه إلا ما نؤلف أو نترجم أو ننشر . وأظن أن فى مكنة أعضائها ما يضمن لهذا الطفل الغذاء الكافى حتى التخمة

ولعل الذين فكروا فى اللجنة أيام ولادتها سنة ١٩١٤ أو قبلها بقليل يغتبطون إذ يرون سنة ١٩٣٤ أن كثيراً من الآمال أصبحت حقائق ، وأن الأمانى تحولت إلى شجرة طيبة تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، وأنهم وقد جنوا ثمارها قد تجددت لهم أمانى أخرى أوسع من الأولى وأبعد مدى ، ولكنهم يشعرون أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى ، وأنهم اليوم أكثر خبرة ، وأقدر بمالهم ورجالهم على تحقيق أغراضهم الجديدة ، فهم لا يرتاحون إلا أن يروا كل مرحلة من مراحلهم يتضاعف إنتاجها — حقق الله آمالنا ، ووفقنا فى مستقبل أعمالنا أضعاف ما وفقنا فى ماضينا ، فقد عودتنا أن يجازى الجد والاخلاص بالخير دائماً ؟ .

أحمد أمين